

- باب السلام في المسجد الحرام
- طواحين الهواء الهولندية تدور مع الزمن
- الاحتراق النفسي: الأسباب والوقاية

مجلة ثقافية شهرية - العددان ٣٨٧-٣٨٨ رمضان-شوال ١٤٢٩هـ/ سبتمبر-أكتوبر ٢٠٠٨م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 387 - 388 - sept. - oct. 2008

الخيول العربية

بطاقتي الإسلامية بمزاياها الجديدة تفتح لي عالماً من الإمكانيات.. من بنكي

إستفد من ميزاتها مطمئن البال

الآن أصبحت البطاقة الإسلامية بحلتها الجديدة من بنك الرياض تلبي جميع احتياجاتك اليومية حيث إنها قائمة على مبدأ المرابحة المتوافقة مع الأحكام والضوابط المعتمدة من الهيئة الشرعية بالبنك فسواءً كنت في رحلة عمل أو لتمضية العطلة الصيفية مع عائلتك أو حتى أثناء تسوقك فإن بطاقات بنك الرياض الإسلامية الجديدة هي الوسيلة الآمنة والأمثل لتلبية جميع احتياجاتك. الآن أطلب البطاقة الإسلامية بحلتها الجديدة وتمتع هذا الصيف بالمزايا التالية.

- الحصول على البطاقة الإسلامية مجاناً للسنة الأولى
- استرجاع 10 % من قيمة التذاكر الدولية *
- استرجاع 1 % من قيمة المشتريات *
- إمكانية السحب النقدي لكامل الحد الإئتماني
- الحصول على بطاقات إضافية مجاناً لأفراد العائلة
- الحصول على بطاقة الإنترنت مجانا
- المرونة في السداد

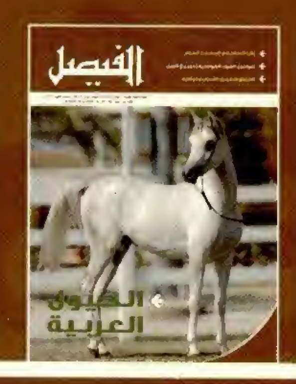


تفضل بزيارة أقرب فرع لبنك الرياض لتقديم طلبك مع إرفاق صورة من بطاقة الهوية الوطنية أو الإقامة
* يسري هذا العرض ابتداءً من 1 يونيو ولغاية 31 أغسطس 2008م - خاضع للشروط والأحكام



بنك الرياض
riyad bank

بنكي... بنك الرياض riyadbank.com | 800 124 2020



الخيول العربية هي درة الخيول العالمية، ولؤلؤة العرب التي فخروا بها وما زالوا. وقد أشاد بها خبراء الخيول في العالم، واعترفوا بعظمة خلقها، وجمال أشكالها، وذكائها، وصفاتها العامة، فهل حافظنا - نحن العرب والمسلمين - على تلك الدرر والكنوز النفيسة؟!

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد. ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ٤١/٢٤٥٠
ردمد ٠٤١١ - ٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية



ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

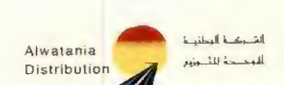
السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ٢٥٠, ١دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢...، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٢١٢. ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢. ٢. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







رسائلكم

تواصل

أجلّ تحية، وأعظم سلام من قلبي ها هنا إلى جميع منسوبي مجلة الفيصل؛ سدادة سغابي. تلك المجلة التي يقطر منها نور العلم كقطرات الندى في صبيحة كل يوم وهي تهوي من فوق أوراق الزهر إلى فوق أوراق زهر آخر أقصر منه، لينتهي بها إلى آخر الوريقة الدانية إلى الغرض... هكذا يتداول العلم.

ثم هو من المؤلم أن تحس أنك ثقيل على أحد، وكأنك حمولة على كاهله، وكم هو أكثر من المؤلم ومن المزعج أن تكون الإمكانيات حجر عثرة في طريقك إلى الطموح. لكن من المؤسف ومن غير اللائق أن تَعِدَ ولا تفي، قد وعدت بالوفاء لكني لم أفِ بذلك. إنه صعب جداً أن أرسل رسائلي هكذا في الهواء، لا أدري أوَصلت، أقرئت، لم أحْظَ برد عليها، لو كان لي الحظ في الحصول عليها على الأقل أعلم بتحركاتها (أخبارها، جديدها، و...)، فلا يصعب عليّ الكتابة إليكم، تكون عندي الأخبار فأكون دورية منتظمة ولا أضجر، لكن (ضعوا أنفسكم مكاني)، أكتب من دون أي ردّ ومن دون أي مسبقات (المجلات)، كمن يرمي بأشياء في النهر (والنهر لا يرجع إلى الوراء). لهذا السبب لم أفِ بوعدي فلم أكن وفية، للأسف لم أستطع أن أقاوم المشكلة فانقطعت عن الكتابة.

فماذا عن أخباركم وأخبار مجلة الفيصل - سدادة سغابي - الجميلة؟ اشتقت إلى تصفحها، أتمنى أن تكونوا بخير وعلى خير.

الآن لا يسعني سوى أن أترككم في عافية الله. وأطال الله عمر المجلة العزيزة؛ الفيصل الجميلة سدادة سغابي. أنار الله دروبكم، وأعانكم في أعمالكم؛ لتصنعوا الأفضل لهذه المجلة الجميلة، ولتأدوا واجبكم على أحسن وجه، وأن تكونوا المثل الأعلى.

تُرفع الأيادي إلى العلاء، وتفتح أبواب السماء، ليُتلى من القلب الدعاء، فتصبح النفس من السعداء.

أعانكم الله وأطال من عمر المجلة، وفقكم ووفقنا جميعاً. ربنا اغفر لنا ولا تؤاخذنا، سامحنا وارحمنا بغفرانك، فلا غفران إلا منك، آمين.

عبرة الدّجى: حميدي لندة Hamidi Lynda

أيت مصباح - بني دوالة

تيزي وزو - الجزائر

التحرير

نشكر لك حرصك على التواصل واقتناء المجلة، وقد سبق لنا الإشارة إلى أن الاشتراك أفضل وسيلة للحصول على المجلة شهرياً. أما مشكلة التوزيع، فمردها قلة الأعداد المخصصة لكل بلد من البلدان، وتركز التوزيع في المدن الكبرى، ومحاولاتنا مستمرة لحل هذه المعضلة.

مشكلة في التوزيع

توزيع المجلة لا يصل إلى منطقتي نهائياً؛ مما يجعلني أسافر إلى محافظة القاهرة لشرائها. ولأنني من ذوي الاحتياجات الخاصة، ويرهقني الخروج لمثل هذه المسافات البعيدة، أرجو مراعاة ظروفي الصحية القاسية، ووصول توزيع المجلة إليّ مراعاةً لظروفي. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيدة عبدالفتاح إبراهيم محمد

مصر - القليوبية - شبرا الخيمة - بهتيم - عزبة الصعايدة - ١١ ش البلاستيك.

التحرير:

نشكر لك كلماتك الرقيقة، ونعدك بأعداد من المجلة تصل إليك لتقفي على جديدها، ونتمنى لك التوفيق في تحقيق طموحاتك.

منبع العلم

بينما أنا أتصفح صفحات مجلتكم الثرية اكتشفت غزارة المعلومات الثقافية والعلمية والأدبية التي تحتويها؛ لتصبح وسيلة لطلب العلم، فمجلتكم منبع العلم وجوهره، فهي شاملة ومبتغى كل شخص متعطش للعلم والانفتاح الفكري العالمي والعربي خاصة. فبهذا يكون لي الشرف أن أحصل على أعداد هذه المجلة الشهرية باستمرار من طريق الاشتراك السنوي بالمراسلة على العنوان المذكور أعلاه.

تقبلوا مني سيادتكم جزيل الشكر والاحترام، وجزاكم الله ألف خير وعافية.

خنفسي عبدالحميد

ص.ب ٤٥٤

٠١٤٠٠ - تيميمون - الجمهورية الجزائرية

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونتمنى أن تكون المجلة عند حسن ظن قرائها. وحديثك عن أهمية الاشتراك السنوي صحيح، وقيمة الاشتراك السنوي (١٢ عدداً) هي ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية، ورقم حساب المجلة هو (٠٠١- ٠٥٥٥٠٥- ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني - شارع العليا - الرياض.

ردود سريعة....

الأخ د. كمال نشأت - المعادي الجديدة - القاهرة:

نتمنى لك الشفاء ودوام الصحة، وثق أن ما أرسلته من مواد محل اهتمام، ونأمل أن نتمكن من نشر بعضها في القريب، ولك التحية.

الأخ بشير بشير الأحمدي - المدينة المنورة:

سوف نرسل لك العدد الذي أشرت إليه، ولتفادي نفاد العدد من الأسواق، وعدم استطاعة الحصول عليه لأي سبب من الأسباب، ننصحك أنت وجميع الإخوة القراء الحريصين على مجلتهم بالاشتراك السنوي الذي يضمن وصول العدد فور صدوره إلى المشترك في بريده الخاص.

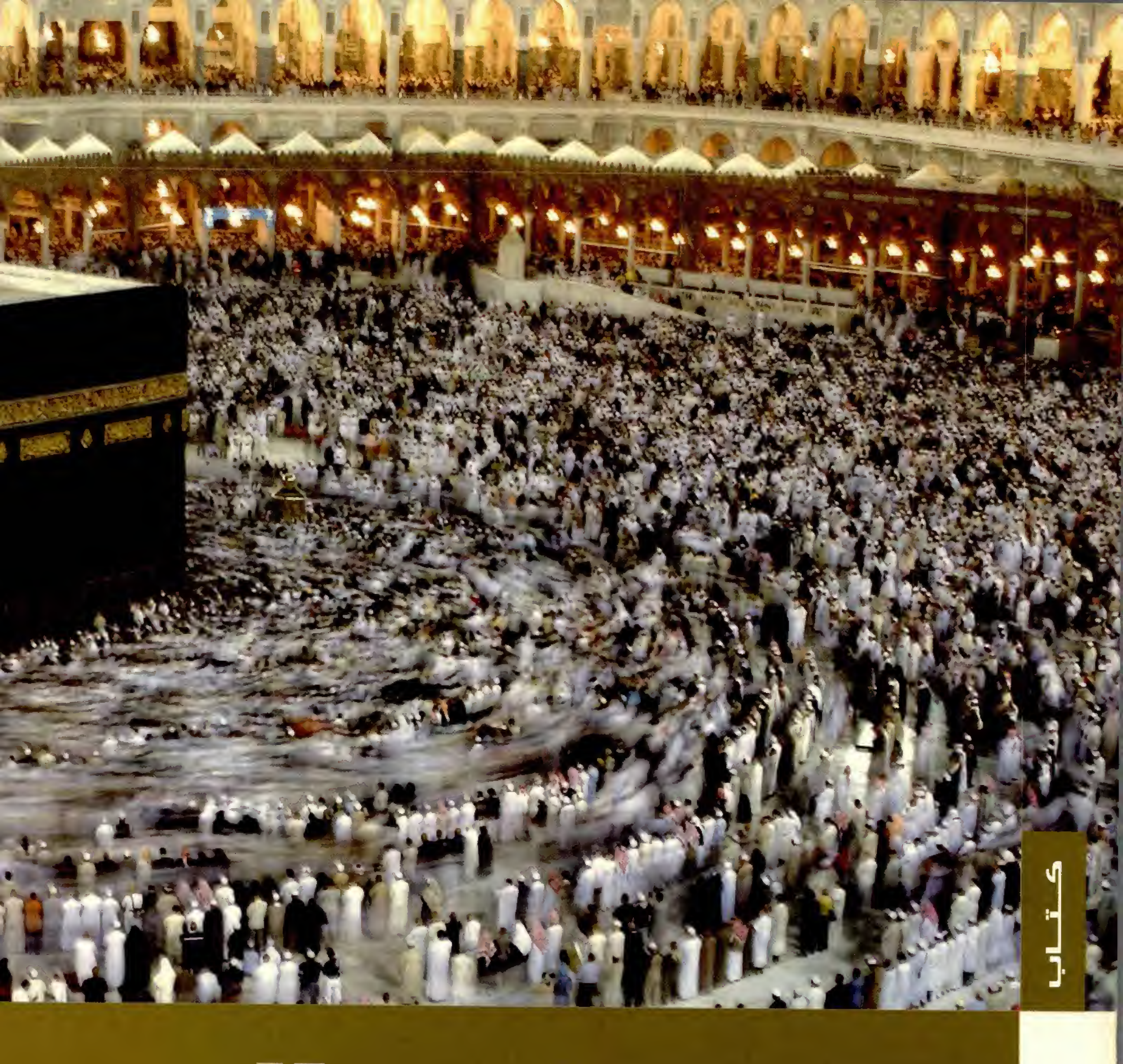
الأخ محمد جمال علي خليل - لوس أنجلوس - الولايات المتحدة الأمريكية:

نقدر اتصالك واهتمامك بالمجلة، ونأمل موافاتنا بما تراه من الموضوعات والاستطلاعات التي تناسب المجلة، التي ظللت تداوم على اقتنائها إبان وجودك في السعودية، ونشير عليك كما قلنا لكثيرين من القراء بالاشتراك حتى تصل إليك المجلة.

مع أمنياتنا لك بالتوفيق.

الأخ زبير توفيق جبر - الخرطوم - السودان:

سبق لنا نشر كثير من الاستطلاعات عن السودان، كما نرحب بأي استطلاع فيه الجديد المفيد، ونحن نحرص على تنويع المواد في كل عدد، كما تتنوع جنسيات الكتّاب؛ حرصاً على إتاحة المجال لأكبر عدد منهم، ومرحباً بك كاتباً وقارئاً.



كتاب

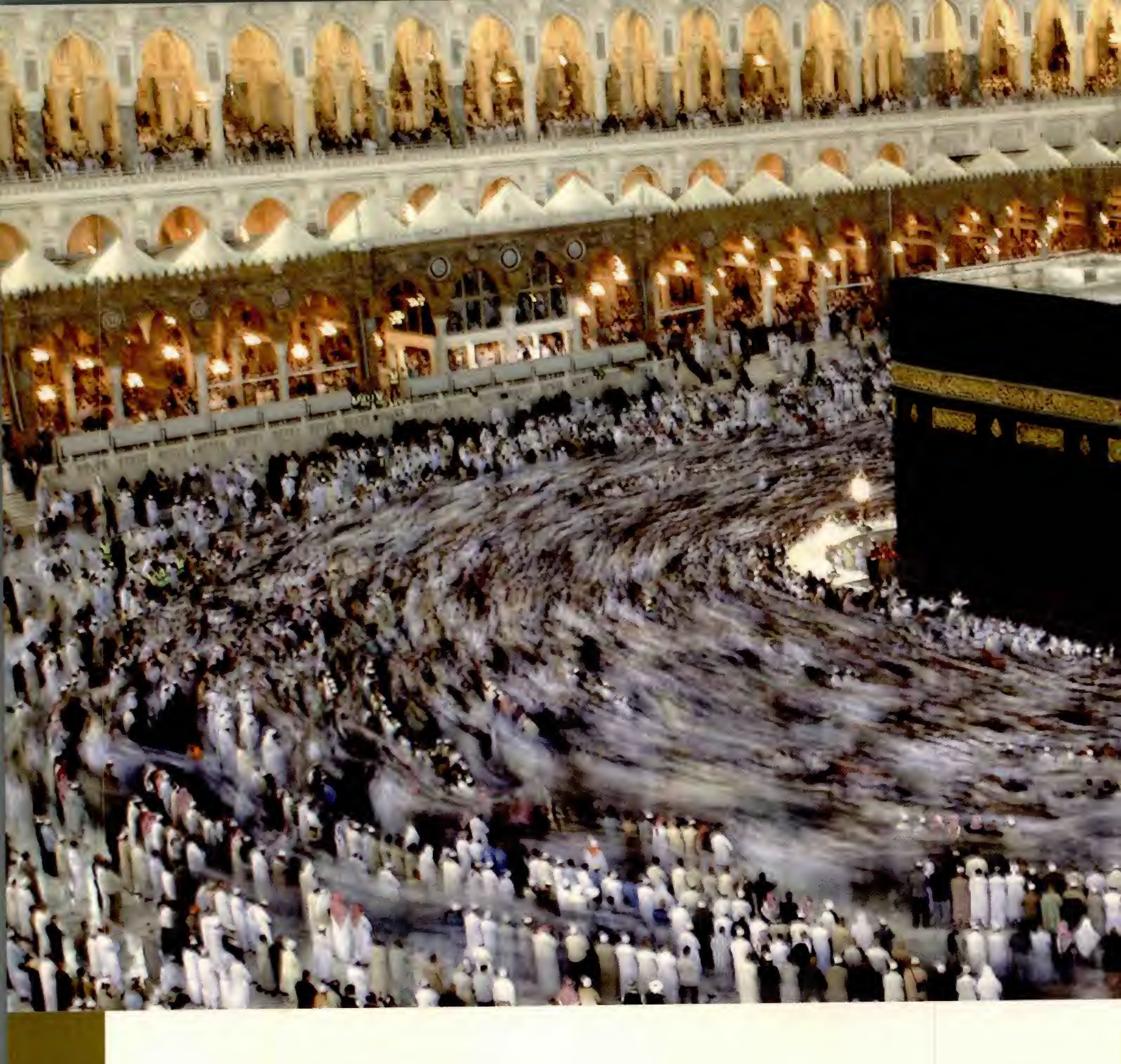
باب السلام

في المسجد الحرام

تأليف: عبدالوهاب أبو سليمان

عرض: عبدالهادي التازي

الرباط - المغرب



هذا تأليف يصدق عليه القول السائر: «تشد إليه الرِّحال»، ولاسيما بالنسبة إلى واحد مثلي عاش مع ذكر هذا الباب سنين طويلة، وهو يؤرخ لأكثر من مئة رحلة حجازية، ويجد نفسه باستمرار أمام هذا الباب: باب السلام الذي يحرص الحجاج على الدخول منه إلى المسجد الحرام، وكأنهم يؤكدون لنا أنهم على معرفة جيدة بثقافة الحج، أو بالأحرى أنهم على علم من أن النبي عليه السلام دخل إلى البيت العتيق من باب بني شيبة، الذي يحمل - بعد أعمال التوسيعات المتوالية عبر العصور - اسم (باب السلام).

لقد تمنيت لو صدر هذا التأليف قبل أن آخذ في طبع كتابي (رحلة الرحلات) لأستفيد منه، على الأخص عند الحديث عن (باب السلام)، وما أدراك ما باب السلام؟!

تأليف (باب السلام) إذاً تأليف لتاريخ متواصل الحلقات، لموقع كان أشهر المواقع لكونه موطئ قدم نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. وتأليف (باب السلام) - نتيجة لهذه الحيثية - كان



مصراع لباب السلام

باب السلام - الحرم المكي

مركزاً تجتمع عنده كل الفعاليات التي تتناسب وعظمة الموقع، وعلى رأسها تلك المكتبات التي تزخر بالمخطوطات التي تتناول كل حقل من حقول المعرفة، والمكتبات التي تعني مكتبيين من حمولة علمية وازنة، ليسوا مجرد باعة، ولكنهم علماء يستوعبون الكتب التي بين أيديهم، ويقدرون حواياها وثناياها، على نحو ما يعرفون أثمانها وقيمتها. وجاء هذا التأليف الفريد ليرضي استطلاعنا حول هذا الباب.

وكأي من حاج وقف عند هذا الباب فوصفه وأعطى نظرة عما يوجد حوله من متاجر تهتم ببيع الطيب والكحل والسبح، بمن فيهم أولئك الحجاج المسلمون من كل الأقطار، وبمن فيهم أيضاً بعض من استطاع أن يصل إلى تلك البقاع من غير المسلمين بوسائل خاصة يعد الحديث عنها أيضاً من الطرف التي تروى.

لكن صاحب تأليف (باب السلام)، الأستاذ عبدالوهاب، وقف بنا عند هذا الباب وقفة طويلة، أستطيع القول: إنها وقفة العالم الباحث، الذي أخذ على نفسه أن يقدم الباب كما كان بالأمس، وكأننا نعيشه اليوم..!

كان عملاً تراثياً عميقاً، لا يقدر قدره إلا من يحاول أن يعرف اليوم ما كان وراء هذه الساحات الشاسعة، التي تحيط الآن بباب السلام على مقربة من الضيافة الملكية، وماذا كانت تحتضنه من معالم وعوالم، وما كانت تتوافر عليه من حيوية وحركة، وما كانت تمثله من نهضة علمية رفيعة المستوى.

بودي أن يقبل الأستاذ أبو سليمان تحيتي وتهنئتي معاً. فقد شدني التأليف الذي صدر عن (مكتبة النهضة الحديثة)، شدني كثيراً منذ أن حظيت بإهدائه إليّ من سيد هبط بالكتاب من السماء على الدار البيضاء، في أمسية فيحاء تعبق بالطيب والعطاء، كان هذا الأخ هو معالي الشيخ الدكتور إبراهيم الطاسان، الذي قدمه إليّ أخ وفيّ عزيز عليّ، هو سعادة الأستاذ فيصل بن معمر.

لا أكتمكم أنني التهمت الكتاب التهاماً بمجرد ما تناهى إلي في تلك الأمسية، التي حضرنا فيها تدشين الرواق الجديد للمؤسسة العلمية السعودية بالدار البيضاء، وكان ذلك في يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى سنة ١٤٢٨هـ / ٣١ مايو عام ٢٠٠٧م.

في طريق عودتي إلى الرباط لم أفتأ - وأنا على متن السيارة - أن أعلق وأكتب وأقف مستعرضاً الفهارس المتنوعة، والصور والرسوم الأخاذة.

لقد أخذت بالكتاب أخذاً، وأدركت جيداً أن المنطقة، (منطقة باب السلام)، كانت جامعة بكل ما تحمله كلمة (الجامعة) من معنى، كانت سوقاً نافقاً اعتمدت عليه الحركة العلمية والأدبية في مكة.. لم يكن باباً عادياً، ولكنه كان باباً يتميز بثلاثة عقود على ما نرى، وما كان حديثاً يفترى.

وقد تصدرت الكتاب شهادات كانت بدورها وثائق على ما يقوله



الأستاذ أبو سليمان، لكن ما يستوقف القارئ حقاً هو ما احتوى عليه الكتاب من موضوعات شائقة، جعلت منه موسوعة خاصة (بباب السلام)، عما قيل عنه شعراً أو نثراً، وعما كان حوله إلى سنة التوسعة الكبرى، سنة ١٣٧٥هجرية/ ١٩٥٥- ١٩٥٦م، ثم كانت إطلالة تاريخية على سوق الوراقة في مكة.

ويأتي بعد كل هذا الفصل الثالث الذي تطرب له المثاني والمثالث، وهو يستعرض أسماء المكتبات التي كانت منتشرة على باب السلام، والتي كانت قبلة العلماء، وكانت أرض ميعاد للحكماء والأدباء، وأعين الطلبة.

هذا الفصل أسلمنا إلى الفصول الرابع والخامس والسادس والسابع، وكلها فصول تذكرك بما كان هنا من مراكز ثقافية عالية تجعلنا نستحضر مدى الحسرة والألم اللذين كانا يتملكان

أولئك المصلحين، الذين كانوا يجدون أنفسهم أمام ضرورة التوسعة، التي كانت تقتضي الإتيان على تلك المكتبات التي نشعر بالمتعة اليوم ونحن نقرأ أسماءها وصفاتها، وإني لأقدر جيداً عمل الزميل أبو سليمان، الذي أسرع إلى تسجيل هذه اللوحات الرفيعة لهذه المنطقة، حتى لا يفوت الباحثين واقع هذه البقعة، وكيف كانت بالأمس القريب. عمل جليل كبير قام به الأستاذ أبو سليمان لتسجيل هذه المعلومات وبعثها من مرقدها بالنسبة إلى الذين يفتحون أعينهم اليوم على تلك الساحات المحيطة بالباب، من دون أن يعرفوا ما كانت تحتضنه من كنوز وذخائر.

وكان جميلاً كذلك أن نقرأ في الفصل الثامن عن النشاط المطبعي، الذي كان له دوره المهم في تحريك المشهدين العلمي والثقافي.. ليس هذا فقط، ولكن لنعرف نوع النشاط التجاري والحرفي في (باب السلام)، هذا إضافة إلى ما يتبع هذا من وجود مطاعم تقدم للزوار ما يرغبون فيه، ووجود استراحات أيضاً توفر الاطمئنان والسكينة للناس.

تذكرت جيداً حجتي الأولى سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م التي صادفنا فيها أعمال التوسعة جارية على قدم وساق، وما زلت أذكر الغبار الذي كان يتطاير بين أرجلنا ونحن نسعى بين الصفا والمروة، وأكبرتُ - كما قلت وقتها - هذه الأعمال الجارية هنا من أجل التوسعة: (عبدالهادي التازي: التحليق إلى البيت العتيق، ص٥٩ - دارة الملك عبدالعزيز - رقم الإيداع القانوني ٢٢/٤٠٨٥).

وما زلت أذكر كذلك، إلى جانب هذا، أن حديث المجالس آنذاك كان يروج حول مشروع التغيير، الذي يلحق البيت الحرام، فمن محبذٍ لما اقتضته الضرورة، ومن ممتعضٍ لسماع الاستغناء عن هذه المعلمة أو تلك!!.

يذكر الفقيه الرهوني سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م أنه دخل البيت الحرام من باب السلام كما هو المندوب، وأنه مر أيضاً تحت قوس بني شيبة كما هو المندوب أيضاً

ولقد وفر لي الإخوان وقتها خرائط عن تصميم الحرم بالأمس، وما يلحقه من تغيير اليوم، كان وقتها عملاً شجاعاً جداً، وكان بحاجة إلى شجعان أيضاً.

ومعظم الناس كان يكل الأمر إلى أولياء الأمر، الذين كانوا أعرف الناس بما يليق بالمسجد الحرام، مقتدين في ذلك بما جرى منذ أيام الخليفة عمر، وصولاً إلى الخلافة العباسية، وبلوغاً إلى أيام الحكم العثماني، أيام السلطان سليم.

وقد أتقن الدكتور أبو سليمان عمله عندما جعل للتأليف فهارس أحكمت مفاتيحه، وجعلته في متناول الباحثين والمتتبعين، هذا إلى تزويدنا بقائمة المصادر التي اعتمد عليها لصياغة هذا التأليف الرفيع إخراجاً وموضوعاً يتناسبان وعظمة المقام الذي يمثله باب بني شيبة، الذي دخل منه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، والذي أمسى يحمل اسم باب السلام، حيث قامت الأسواق من كل نوع، خصوصاً المكتبات التي - لحسن الحظ - زودنا المؤلف ببعض الصور والرسوم عنها؛ رغبة في تقديم أكثر دقة لهذا المنسك الذي لا يستغني حاج عن ذكره!.

وقد أفدت شخصياً من بعض العناوين التي عرضها الأستاذ أبو سليمان، وأذكر - على سبيل المثال - ما ورد في صفحة ٣٦٩ بعنوان: (مجموعة ثلاث رسائل في مناسبات الحج والعمرة).

أفدت من هذا العنوان، خصوصاً المجموعة الثالثة: قصيدة ذكرى الحج وبركاته للأمير الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ. وتتلخص فائدتي في أنني عرفت السر في نقل مجلة (الحج والعمرة) قصيدة قالت إنها للصنعاني، وقالت ذلك من دون ذكر «الذي» نشر القصيدة، الذي رغب في عدم ذكر اسمه!!. لقد تجلى أن الأمر أكبر من ذلك، كان الأمر يتعلق بقرصنة قديمة العهد تعود إلى أيام طبع الرسائل الثلاث سالفة الذكر، وكنت أتمنى لو حصلت على هذه المعلومة قبل أن أنشر تصحيحي لما أوردته المجلة المذكورة حول قصيدة الرحالة المغربي ابن رشيد، وليس الأمير الصنعاني المذكور!!.

ولنعد بعد هذا إلى باب السلام، الذي لا يفتر عن ذكره لسان، أعود إليه هذه المرة لأتتبع ما قيل عنه لدى سائر الرحالين الذين تناولت الحديث عنهم في تأليفي «رحلة الرحلات» سالف الذكر، الذي نشرته مشكورة مؤسسة الفرقان بمناسبة الاحتفال



بالسنة الثقافية لمكة المكرمة.

أشعر بأن عليّ أن أستحضر ما قاله السابقون من الرحالين المغاربة؛ لنعرف جيداً قيمة ما أورده أبو سليمان، الذي ننوه بما نقله عن الحيحي وابن بطوطة عن باب بني شيبة، أو باب السلام كما أصبح الاسم الآن.

وهنا لابد من الإشارة إلى ما تم أيام الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وأيام الخليفة عمر، والخليفة عثمان بن عفان، وما تم أيام ابن الزبير، وعبدالملك بن مروان الذي ينسب إليه جلب السواري بحراً إلى جدة، قبل نقلها إلى البيت الحرام، حيث أفتح هنا قوسين لأسأل عن مصدر السواري، هل هو بلاد الروم؟ وهذا الأمر سيذكرنا - لا محالة - بالمبادرة الرائدة، التي قام بها الخليفة العظيم الوليد بن عبدالملك، الذي هدم مسجد المدينة المنورة والبيوت المحيطة به أيام عمر بن عبدالعزيز، ثم بناه بناءً جديداً مستعيناً في الأعمال بخبرة البيزنطيين (ملك الروم)، الذين لم يترددوا أمام دعوة الخليفة في تلبية النداء على ما يذكره تقي الدين المقريزي في «الذهب المسبوك»[1].

ثم كانت الزيادة الخامسة أيام المنصور العباسي، والسادسة أيام محمد المهدي العباسي عندما حج ووقف بنفسه على ما قام به المهندسون، ثم كانت الزيادة السابعة أيام المعتمد بالله، والثامنة أيام المقتدر بالله إلخ...!!

كل هذا وثقه الأستاذ أبو سليمان في تأليفه (باب السلام)، إضافة إلى العمل الواسع الكبير الذي قام به السلطان سليم سنة ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م.

وإذ أنوه مرة أخرى باستحضار أخينا أبو سليمان ما قاله الحيحي وابن بطوطة عن باب بني شيبة، زاده الله من جوده هيبة، أذكر بعض التساؤلات حول هذا الباب، ولاسيما عما عرف عن بعض الرحالين المغاربة ممن كان لهم اهتمام بهذا الباب، وأذكر في صدر هؤلاء الشيخ ابن سليمان الروداني، الذي، كما يعلم الأخ الكريم، كان ناظراً للحرمين الشريفين مدة طويلة، وكانت له أياد بيضاء في الحرم المكي.. والأخ الكريم أعلم بوظيفة الشيخ الروداني، رحمه الله.

كانت منطقة باب السلام جامعة بكل ما تحمله كلمة الجامعة من معنى، كانت سوقاً نافقاً اعتمدت عليه الحركة العلمية والأدبية في مكة

ثم بعد هذا أذكر شخصية مغربية مهمة، هي الفقيه الدبلوماسي الشهير محمد بن عثمان المكناسي سنة ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩م الذي له من جملة تآليفه رحلة حجازية سماها: «إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب»، هذا السفير استوقفه هذا الباب فقدم المعلومات الآتية:

«ودخلنا من (باب السلام) الذي كان يدعى باب بني شيبة، فإن هذا الباب (باب بني شيبة) أصبح داخل المسجد اليوم، وكان هو باب المسجد القديم، وهو في مقابلة المقام وباب البيت، وهو الذي ينبغي الدخول منه، وهو اليوم مقوس بالبناء، في موضعه القديم علامة عليه.

وأما باب السلام، الذي يسمى الآن باب السلام، فهو أحد أبواب المسجد المزيدة، وليس هو في مقابلة باب البيت، فهو منحرف عنه بعض الانحراف، وباب المسجد الذي هو في مقابلة بابه الداخلي هو (باب النبي) صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يأتي من تلك الناحية؛ لأن داره كانت في زقاق الحجر، وهو في تلك الناحية»[٢].

ويأتي بعد السفير ابن عثمان من سمي في التاريخ الدولي للمغرب بالشريف العباسي سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م الذي استطاع بوسائله الخاصة أن يصل إلى مكة في صفة مسلم، ويدخل من باب السلام، ويخصه بالحديث، ويصف شكله، ويحدد موقعه ومقاييسه[٣].

على أن يأتي بعده المستشرق المشهور، الذي كان أول من أثار انتباه أوربا إلى رحلة ابن بطوطة، الأستاذ بوركهارت Burckhardt، الذي سمح له قائد الحملة المصرية بزيارة مكة، وأداء فريضة الحج، بعد أن اجتاز امتحاناً في الدين الإسلامي أمام اثنين من العلماء اللذين أقرا بأن بوركهارت متضلع من الدين، وسمع قاضي مكة بخبره فدعاه إلى العشاء في داره، فصلى معه، وتلا خلال ذلك آيات من القرآن الكريم بلغة لا تشوبها شائبة، ثم أدى مناسك الحج على أحسن ما يكون، وابتدأ دخوله الكعبة من باب السلام.

وقد كان من الحجاج المغاربة الذين وصفوا باب السلام الشيخ دنية الرباطي سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، حيث تحدث عن زيارة خزانة الكتب التي بالحرم قرب باب السلام، وذكر أن نوافذها تطل على الكعبة، وقد وقف الشيخ دنية على مجموعة كتب الخزانة وقال: إنها مفروشة لمن أراد الاطلاع على الكتب، أو أراد نسخها.

من الحجاج المغاربة الذين وصفوا باب السلام الشيخ دنية الرباطي سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م، حيث تحدث عن زيارة خزانة الكتب التي بالحرم قرب باب السلام، وذكر أن نوافذها تطل على الكعبة

ويأتي بعد هذا الأستاذ الجعايدي سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، فيتحدث عن باب السلام، ذاكراً أنه مكان لبيع الكتب التي ترد من الخارج قائلاً: إنه توجد هنا دكاكين كثيرة لبيع التحف والهدايا والكحل والمكاحل.

ويذكر الفقيه الرهوني سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م أنه دخل البيت الحرام من باب السلام كما هو المندوب، وأنه مر أيضاً تحت قوس بني شيبة كما هو المندوب أيضاً.

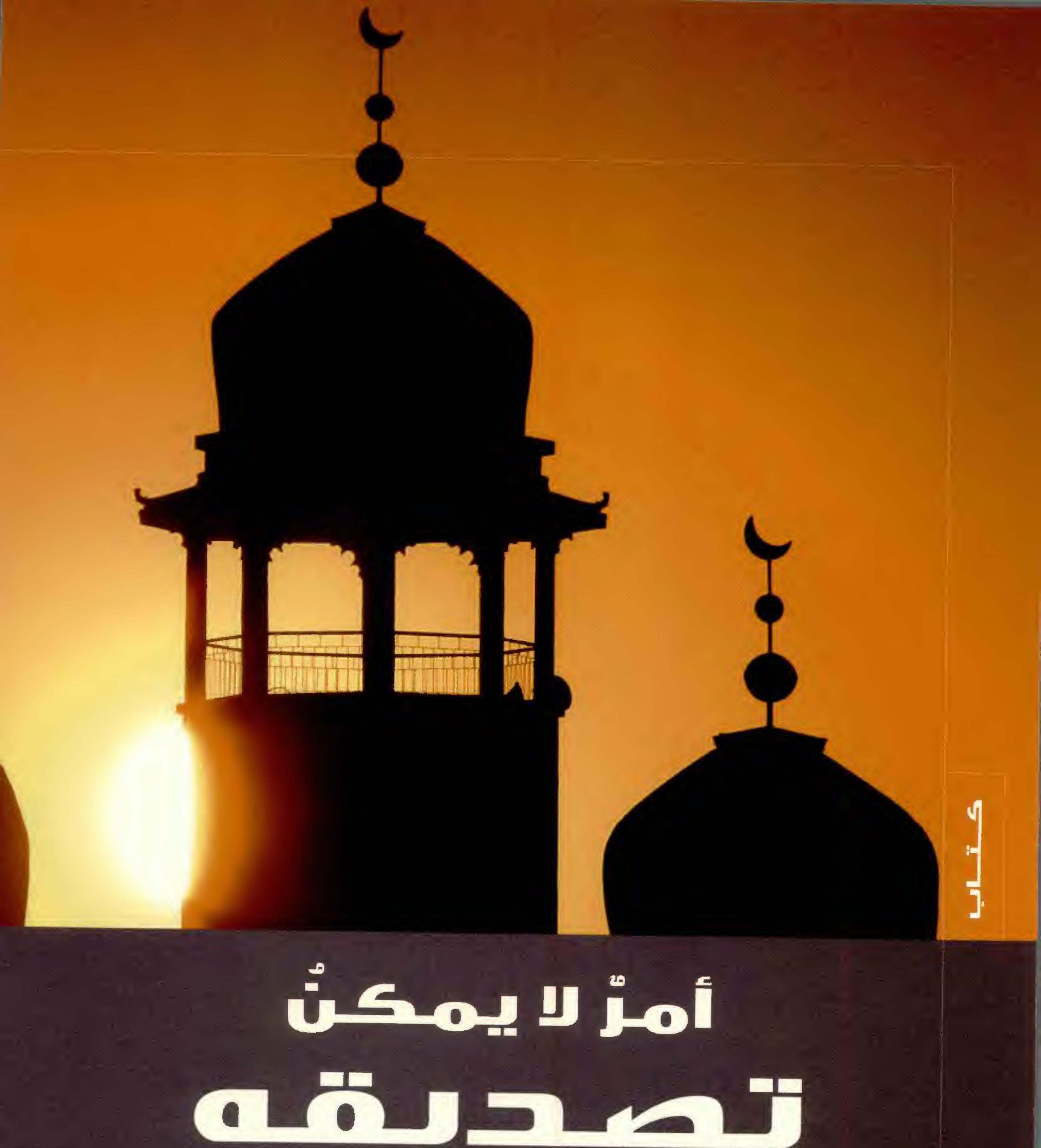
وبعد، كما قلنا في البداية نؤكد في النهاية أن الاهتمام بهذا الموقع الجغرافي من الكعبة المشرفة كان يعني أداء واجب جد كبير للذين يتتبعون تطور العمل في بناء الكعبة، على الأقل منذ أن فرض الإسلام على معتنقيه الركن الخامس من أركان الإسلام، ولهذا فإن المؤلف يستحق منا التقدير والإكبار على تنبهه لوضعنا في الصورة الحقيقية لهذا الباب التاريخي، الذي لا نزال إلى اليوم نحرص على الدخول منه لتحية المسجد الحرام.

الهوامش

١- بحث نشر ضمن الكتاب الذهبي الخاص بمسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، ص ٣٢٤، رقم الإيداع القانوني ١٩٩٣/٦٥٥.

٢- د. عبدالهادي التازي، رحلة الرحلات، ج١، ص ٤٠٢.

٣- د. عبدالهادي التازي، رحلة الرحلات، ج٢، ص ٤١٩ (٦).



كتـــاب

أمرٌ لا يمكنُ تصديقه

بقلم ديفيد آيمر[1]

ترجمة : قاسم السامرائي

لايدن - هولندا

إنَّ انتعاش الإسلام بالنسبة إلى الأقلية النسوية في هُوَي Hui الواقعة في مقاطعة ننكزيا Ningxia في شمال الصين يتميز بأنه أعمق من أن يكون صحوة روحية فحسب، فإن كثيرات منهن يبتهلن في أن يكون ذلك وسيلة لهن للخروج من حالة الفقر التي هنَّ فيها، ففي مساحات الأرض القاسية السائدة في هوي الواقعة في مقاطعة ننكزيا التي تتمتع بالحكم الذاتي تنبثُّ آلاف المساجد التي يزيد عددها على ثلاثة آلاف مسجد، وهي تتناثر على مساحة هذه المقاطعة الصغيرة التي يسكنها خمسة ملايين ونصف المليون من البشر في شمال الصين والتي تتسم بالجفاف المريع والفقر المدقع.

لقد كانت هذه المساجد في السابق خاوية ومهملة تماماً، بيد أن مساجد ننكزيا الآن أصبحت تعج بالمصلين أكثر من أي يوم مضى؛ فإن ازدياد الحماسة الدينية، والتوقع المأمول في التخلص من الفقر السائد كانا الدافع الرئيس وراء الانتعاش الإسلامي في هذه المقاطعة[٢]. وهذا في نهاية الأمر هيّأ مجالات اقتصادية للأقلية المسلمة في هوي الذين يشكلون ثلث سكان مقاطعة ننكزيا.

مكانة كبيرة للمرأة

ومع أن سمعة الإسلام بأنه دينٌ يسيطر عليه الرجال فإن النساء المسلمات في الإقليم هن اللاتي يتصدرن حركة الانبعاث الإسلامي فيه، فقد استفدن كثيراً من الوضع الفريد في العالم الإسلامي، حيث تستطيع النساء هنا أداء فروض الصلاة في مساجد خاصة بهن وتؤمهن في إقامة الصلاة إمامة منهن تسمى «آهونج» ahong في لغة بوتونغوا Putonghua. ومع التسليم بوجود قيادات دينية روحية في العالم الإسلامي فإن النساء المسلمات في الصين يتمتعن بمكانة كبيرة جداً، فمثلاً وانج شيونج ذات الـ ٦٣ عاماً، وهي إمامة (آهونج) المسجد الأبيض في وزهونج Wuzhong ذات السوق الذي يعج بزواره وتبعد مسافة الساعة بالسيارة عن ينشوان

Yinchuan عاصمة مقاطعة ننكزيا، هي واحدة من نحو ٢٠٠ إمامة من الأئمة النساء، وقد شاهدت عدد النساء اللاتي يرتدن المسجد يزداد باستمرار خلال السنوات الثلاث التي قضتها في المسجد، فتقول: في كل سنة يزداد عدد النساء اللاتي يرتدن المسجد أكثر فأكثر. وتضيف وانج: إنهن يردن تعرف دينهن وثقافتهن، وهو واجب من واجبات عملي أن أساعد على تعليمهنّ كلَّ ذلك.

وبالنسبة إلى نساء هوي فإن الإسلام يثير فيهن مشاعر الغاية والانتماء والقصد في التعلم، إضافة إلى شعور التلاحم والتواصل مع المجتمع الإسلامي. والمسجد الأبيض الصغير هو واحد من ستة مساجد نسوية في وزهونج، وهو يقوم بدور النادي الاجتماعي، إضافة إلى أنه محل لتأدية شعائر العبادة. تقول فو لانهونج، وهي واحدة ضمن جماعة من النساء يجلسن في باحة المسجد: نحن نقضي هنا مدة ساعتين يومياً. إنها لفرصة فريدة: إذ تهيأ لنا اللقاءات والتعارف، ثمَّ إقامة علاقات صداقة فيما بيننا، إضافة إلى إقامة شعائر ديننا في هذا المسجد، فإن أغلبيتنا من ذوات سن الأربعين وما فوق ذلك، ولما كان أطفالنا قد شبّوا وكبروا فإننا نفضل الحضور إلى هنا على البقاء في بيوتنا.

تغييب متعمد

ولما كان هؤلاء النسوة قد ولدن وترعرعن في أثناء الثورة الثقافية (التي قادتها زوجة ماوتسي تونك)، أو بعد ذلك بوقت قصير حين تمَّ حظر الدين، ومُنعَتْ إقامةُ شعائره، فإنَّ كثيراً من هؤلاء النسوة لم يَكنَّ يعرفن إلا الشيءَ القليلَ عن الإسلام قبل أن يبدأن في التردد على المسجد. وتستطرد هونج قائلة: إن أغلب النساء المسنَّات لم يحظين بأية فرصة يتعلمن فيها أيَّ شيء حول القرآن، ولم يعلمن مدى أهمية كل ذلك لهن حين كن في مقتبل العمر، والشيء الممتع لي حقاً يكمن في أنني أستطيع تعليمهن، فأنا أعرف أنهن يحببن التعلم مني؛ وذلك لأنهن حينئذ يستطعن تجاذب الحديث بسهولة ويسر مع امرأة إمامة مثلهن أكثر من التحادث مع الإمام إذا كان رجلاً.

إن الإمامة هونج لا تكاد تتساوى مع درجة أي إمام من الرجال؛ فهي مثل بقية أئمة النساء (آهونج) لا يُسمح لها بإمامة النساء في الصلاة، وهي الصلاة التي يؤديها المسلمون خمس مرات في اليوم،

مساجد بطابع صيني تنتشر في مدن كثيرة

ولكن بدلاً من ذلك فإن الصلاة التي يقيمها أحد الأئمة الرجال في مسجد مجاور تقوم مكبرات الصوت بنقلها إلى مسجدها، ومع هذا فإن هونج تؤدي دروس الوعظ لهن وتعلمهن قراءة القرآن، إذ إن أغلب النساء أميَّات لا يعرفن القراءة، فقد أظهر استطلاع جرى في عام ٢٠٠٣م أن ٢٥ في المئة من نساء مقاطعة ننكزيا أميات لا يُحْسِنَّ القراءة والكتابة، بينما كانت نسبة الأمية بين الرجال ١٠ في المئة فقط. بيد أن الأمر الأسوأ من كل ذلك لنساء هوي يظهره تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية، إذ يظهر أن نسبة القادرين على القراءة والكتابة بين سكان هوي لا تتجاوز النصف بالنسبة إلى الأغلبية من سكان هان، ففي الجبال الواقعة في جنوب مقاطعة ننكزيا ووسطها يعيش مليون ومئة ألف نسمة، وأغلبهم من سكان هوي، تحت خط الفقر الرسمي الصيني، إذ يبلغ دخلهم السنوي ٦٦٨ يواناً سنوياً فقط، ولهذا فإن هذه المنطقة هي من أفقر المناطق في جميع الصين؛ لذلك يأتي التعليم في المرتبة الثانية في معركة العيش والبقاء في هذا الإقليم.

انتعاش ديني

إنَّ الديانات البوذية والتاوية والكاثوليكية والبروتستانتية، وكذلك الإسلام، ينظر إليها في الصين بعين التسامح، ومن هنا تمر هذه الديانات بتجربة الانتعاش، إذ يبحث الناس فيها عن هويتهم وانتماءاتهم، ويتطلعون من خلالها إلى الاستقرار والرخاء في بلد يتغير ويتطور بسرعة مذهلة، فقد أظهر استطلاع أجرته هذه السنة جامعة شرق الصين في شنغهاي أن ٣١،٤ في المئة من الصينيين الذين أعمارهم فوق ١٦ سنة، وهم يشكلون نحو ٤٠٠ مليون نسمة، يعدُّون أنفسهم من المؤمنين بديانة أو بأخرى، وكان من هؤلاء ما بين ٢٠ إلى ٣٥ مليوناً من المسلمين.

أما بالنسبة إلى سكان هوي الذين هم أحفاد التجار العرب الذين بدؤوا بالوصول إلى الصين خلال القرن السابع الميلادي، فإن ظاهرة الانتعاش والانبعاث في إيمانهم بدين الإسلام إنما هي نابعة من مشاعر إثبات هويتهم الإسلامية الفريدة وتأكيدها بعد مئات من السنين التي اندمجوا خلالها في تيارات المجتمع الصيني العام، ومن هنا فإنهم لا يتميزون من الهان إلا بغطاء الرأس الأبيض (الطاقية) للرجال، والحجاب الذي يغطي شعر الرأس للنساء، إلا أن الدين أصبح الدائرة التي تدور عليها حياة كثير من سكان هوي؛ لذلك فإن الآلاف من شبان هوي وشاباتها يسافرون سنوياً للدراسة في مختلف البلدان الإسلامية، بل بينما استطاع ٤٨ شخصاً من هوي فقط أداء فريضة الحج قبل عشر سنوات فإن في نهاية هذه السنة ينوي ٥٠٠ شخص من هوي السفر إلى مكة، التي يسمونها مايجيا Maijia حسب تسمية الصينيين لمكة؛ لأداء فريضة الحج.

لقد أصبح تعلم اللغة العربية أمراً شائعاً، فقد أنشئت المئات من مدارس تعليم اللغة العربية في مقاطعة ننكزيا خلال السنوات الماضية، وبدأ عدد من المساجد بتنظيم حلقات لتعليم اللغة العربية، بل إن فصول تعليم اللغة العربية في جامعات ننكزيا أصبحت أكثر من الفصول الأخرى إقبالاً وشيوعاً.

انتشار العربية

وتجلس جن ميهوا في مسجد ونان في وزهونج أمام سبورة سوداء مملوءة بالكتابات والخطوط، فإنها منذ خمس سنوات مستمرة في تنظيم دروس تعليم اللغة العربية يومياً للنساء، وهي امرأة تثير الإعجاب والتقدير؛ فقد كانت ضمن ألف سيدة من كل أنحاء العالم رُشِّحَتْ معهن لنيل جائزة نوبل للسلام لما يقمن به من نشاط اجتماعي متميز في بلدانهن، إذ تبلغ جن ٤٢ سنة، وقد شغلت منصب الإمامة (أهونج) على مدى ست سنوات من عمرها، فهي لذلك أصغر أهونج بين أئمة مقاطعة وزهونج. أما طالباتها

جن ميهوا امرأة تثير الإعجاب والتقدير؛ فقد كانت ضمن ألف سيدة من كل أنحاء العالم رُشِّحَتْ معهن لنيل جائزة نوبل للسلام

تستطيع نساء هوي أداء فروض الصلاة في مساجد خاصة بهن وتؤمهن في إقامة الصلاة إمامة منهن تسمى «أهونج»

فقد كانت حياتهن الدراسية في تعلم اللغة العربية أسهل بكثير منها حينما بدأت بتعلم اللغة العربية. وتتذكر جن ماضيها فتقول: لقد كان ذلك قبل إحدى عشرة سنة حين سمعت أحد الأئمة الرجال يتكلم اللغة العربية، فقررت في نفسي أن أدرسها، وأن أتعلمها؛ لأنها لغة ديننا. ولذلك حضرت أحد الفصول حيث كان عدد الطلاب فيه ٤٠ طالباً وطالبة في البداية، إلا أنني أصبحت الوحيدة فيه في نهايته. ولما كنت الوحيدة المتبقية في الفصل فقد بدأت تعلم اللغة العربية بنفسي، فكنت أدرسها وأتعلمها حتى الساعات المتأخرة من الليل حين يأوي أطفالي إلى فراشهم.

إن جن مثل بقية الجماعة التي ترتاد المسجد الأبيض، إذ إن معظم طالباتها من النساء المسنَّات اللائي يحاولن تعويض النقص الذي فاتهنَّ من الثقافة العامة الرسمية، ومن هنا تقول جن: إنه لأمر مجز جداً حين نرى أن حياتهن أصبحت أكثر ثراءً، وأكثر متعةً لهنَّ حين بدأن الانخراط في التعلم أول مرة في حياتهن، وقد كنَّ في السابق لا يعرفن أيَّ شيء عن دينهن، ولم يعطين أية فرصة قطّ لتعلم أي شيء عنه، أو عن ثقافته.

تبادل تجاري

ومع أن الأمر يبدو متأخراً لطالبات جن ووانج لاستعمال معرفتهن في اللغة العربية لاهتبال الفرصة في تحسين حياتهن الاقتصادية، إلا أن الأمر يختلف بالنسبة إلى شابات هوي، إذ أصبح تعلم اللغة العربية إحدى أهم الوسائل للتغلب على حالة الفقر، كما أن الطلب المتزايد خلال السنوات الماضية على المترجمين من اللغة الصينية إلى العربية كان بسبب الاتساع المستمر في العلاقات الاقتصادية بين الصين وبلدان الشرق الأوسط؛ ففي عام ٢٠٠٥م وصلت تجارة الصين مع العالم العربي إلى ما يعادل ٥٠ مليار دولار، ويتوقع أن يزداد هذا المبلغ إلى الضعف في عام ٢٠١٥م.

إن انتماء سكان هوي إلى الدين الإسلامي، ثمَّ اشتراكهم في الهوية الثقافية مع سكان الشرق الأوسط، يؤهلهم بل يضعهم في موقع مثالي للاستفادة من الطلب المتزايد على المترجمين. ففي الوقت الذي تكون فيه الحاجة إلى الشبان للعمل في مزارع العائلة فإن كثيراً من شابات هوي ترسلهن عوائلهن إلى المدارس الداخلية لتعلم اللغات، وهنا تقول جي زياولي البالغة من العمر ١٨ عاماً، والطالبة في مدرسة هان قو العربية في ضواحي وزهونج، وهي مدرسة داخلية للبنات: إن والديَّ يريدان مني أن أتعلم اللغة العربية لكي أصبح مترجمة، وإنني أستمتع كثيراً بتعلمها، وهي ليست لغة صعبة التعلم جداً، بل تكاد إلى حد ما تشبه تعلم اللغة الإنجليزية.

إن جي واحدة من ٧٥ فتاة تراوح أعمارهن بين ١٦ و٢٠ سنة يواظبن على حضور دروس المدرسة التي تتقاضى من كل فتاة ٤٠٠ يوان عن كل فصل دراسي، وهو مبلغ تتمكن العائلات الفقيرة من تحمله. وفي الوقت الذي تلبس فيه الفتيات المعاصرات لهن من الهان سراويلات الجينز، ويتفنن في تصفيفات الشعر المختلفة، ومرافقة أصدقائهن من الشبان، فإن فتيات المدرسة يلبسن الألبسة الطويلة التي تغطي السراويلات الطويلة تحتها، ويغطين رؤوسهن بالحجاب، وينمن على أسرّة بسيطة في غرف متواضعة، ويعشن حياة منظمة ومنضبطة تماماً، فإنهن يصلين خمس مرات

الديانات البوذية والتاوية والكاثوليكية والبروتستانتية، وكذلك الإسلام، ينظر إليها في الصين بعين التسامح، ومن هنا تمر هذه الديانات بتجربة الانتعاش



في اليوم، ويصمن شهر رمضان، وهو أهم شهر للاحتفال به في الإسلام، كما أنهن يتعلمن اللغة العربية لمدة ثلاث ساعات في اليوم من خلال دراستهن القرآن.

أسباب اقتصادية لا دينية

وعلى الرغم من تركيز الدراسة في هذه المدرسة في دراسة الدين، فإن مديرة المدرسة تعترف بأن أسباب وجود طالباتها في المدرسة إنما هي دوافع اقتصادية، وليست دينية روحية: لأن أغلبية الفتيات يتعلمن اللغة العربية لكي يستطعن الحصول على فرص عمل جيدة؛ مثل مدرسات أو مترجمات كما تقول وانج زيوين، وتستطرد قائلة: لقد افتتحت هذه المدرسة في عام ٢٠٠٣م، ولما كنت شابة لم تكن أية مدرسة مثلها في ننكزيا؛ لذلك كان عليَّ أن أذهب إلى لانزهو (العاصمة الإقليمية لمقاطعة جنزو Gansu) لكي أتعلم اللغة العربية.

وتتحدث بعض الفتيات عن نيتهن السفر إلى مصر أو باكستان للعمل هناك، بيد أن معظمهن سوف يمكثن في الصين، إما في ننكزيا وإما في مقاطعة زنكجيانج ذات الحكم الذاتي الواقعة في الغرب البعيد من الصين حيث يقطنها جماعة كبيرة من المسلمين. إلا أن موقف الحكومة الصينية من سكان مقاطعة زنكجيانج البالغ عددهم نحو ١٠ ملايين مسلم يختلف تماماً في تعاملها مع مسلمي هوي؛ لأن الأغلبية من المسلمين في مقاطعة زنكجيانج هم من الأوغور الذين هم من أصول هندية – أوربية Indo-European، ويتكلمون لغة تشبه اللغة التركية، وكثير منهم يريد دولة مستقلة خاصة بهم يسمونها: شرق تركستان. وعلى النقيض منهم فإن ٩ ملايين من هوي المتناثرين في كل الصين قد اندمجوا بنجاح في شعب الهان. ولكنهم يتكلمون لغة بوتونغوا، ولهذا لا يشكلون أي تهديد سياسي للدولة. وفي الوقت الذي تستمر فيه الحكومة الصينية في اتخاذ

أغلب النساء المسنَّات لم يحظين بأية فرصة يتعلمن فيها أيَّ شيء حول القرآن، ولم يعلمن مدى أهمية كل ذلك لهن حين كن في مقتبل العمر



للمرأة مكانتها ودورها

إجراءات صارمة ضد من تصفهم بالانشقاقيين (الانفصاليين) في مقاطعة زنكجيانج، إذ عملت في السابق على تقييد حرية الأوغور، وحددت حقوقهم في حرية العبادة وإقامة شعائرها، فإن الحكومة الصينية ترى في سكان هوي عاملاً مفيداً تقدمه الصين لتصعيد علاقاتها المختلفة وتقويتها مع العالم العربي.

ومع كل هذا فإنه مما لا شك فيه أن الأصولية الإسلامية المعتدلة في صعود وتجدد بين مسلمي هوي الذين كانوا يتميزون

بتفسيرهم غير الصارم للإسلام، فكان كثير من الرجال يتعاطون شرب الخمور، وقليل من النساء يرتدين الحجاب، إلا أن العلاقات التي بدأت تقوى بين مسلمي هوي وبعض البلدان الإسلامية الأخرى جعلتهم يبدون أكثر صرامة في عاداتهم وتقاليدهم، وهنا يقول الإمام ما وانيون Ma Wanyun، وهو أحد الأئمة الرجال من مقاطعة وزهونج الذي أمضى ثلاث سنوات للدراسة في ليبيا: إن كثيراً من سكان هوي الآن يسافرون إلى الخارج لدراسة الإسلام، وإنه من الطبيعي جداً أن تكون لهم وجهات نظر مختلفة عما تعلموه هنا حين يعودون إلى الصين، ويشمل هذا شكوكهم المتنامية في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء الإسلام، التي عززها تورط أمريكا في غزو العراق، والتأثيرات التي خلفتها في تصاعد العداء ضد الإسلام في العالم الغربي.

«أأنت أمريكي؟» كان السؤال الأول الذي وجهته إلينا مديرة المدرسة العربية وزهونج هان قو في وزهونج عند وصولنا إلى المدرسة، وبعد أن أكدنا لها أننا لسنا من الأمريكيين إطلاقاً حينئذٍ فقط سمحت لنا بالتحدث مع طالباتها.

لقد ظل نساء هوي على مدى سنين طويلة يتزيَّنَّ ويلبسن ما تلبسه نساء الهان، إلا أن أئمتهن من النساء صرن يشجعن نساء هوي على ارتداء الزي الإسلامي، وهنا تقول جن: إن القرآن يعلمنا أن النساء يجب أن يغطين وجوههن. إلا أنه على الرغم من وجود اختلافات كثيرة في ثقافاتنا الوطنية مع غيرنا من البلدان الإسلامية فإن تقاليدنا وشعائر ديننا تبقى متشابهة؛ لذلك يجب أن نتمسك بها، ونحافظ عليها، ولهذا فإنني أعلمهن أنهن حين يخرجن من بيوتهن فإن الشيء الوحيد الذي ينظر إليه الناس منهن هو وجوههن وأيديهن.

وفي الوقت الذي يصبح فيه سكان هوي أكثر أصولية والتزاماً بالإسلام فإن معارضة الرجال بدأت تزداد ضدَّ النساء اللاتي يهتبلن هذه الفرص لتحسين أوضاعهن الاجتماعية والثقافية، التي تنمو عندهن باطراد وازدياد، فإن جن تقول: إنَّ كثيراً من الرجال لا يحبذون فكرة تردد النساء على مساجد خاصة بهن كل يوم، أو الانشغال بدراسة القرآن واللغة العربية، وهم يرون أنه يجب علينا أن نبقى في البيت، ونشغل أنفسنا بالطبخ وتربية الأطفال فحسب.

ومع أن مثل هذا الاتجاه هو أكثر شيوعاً في المناطق الريفية المنعزلة في مقاطعة ننكزيا فإن جميع الأئمة من النساء في وزهونج

حرص صيني على التقاليد الإسلامية



نساء هوي يحضرن فصلاً مدرسياً في تعليم الثقافة الإسلامية

قد عانين منه. وهنا تقول وانج شويونج: لقد أخبرني الرجال أنه يجب ألاّ تكون النساء أئمة (آهونج ahong)، ومع هذا فإنه في الوقت الذي تبدو فيه مساجد الرجال في وزهونج فخمة البناء، وتزينها المنائر، فإن مساجد النساء ضيقة المساحات مكتظة الأرجاء، بيد أنها تفي بالغرض، كما لو أنها قد بنيت دون تصميم سابق بالمقارنة مع مساجد الرجال.

إنه من غير المحتمل أن توقف كراهيةُ الرجال وتحاملُهم على ما تقوم به الأئمة النساء رغبةَ الأعداد المتزايدة من نساء هوي في العودة إلى جذور دينهن، بل لا يقلق شبح التشدد الديني، الذي بدأت جذوره في التوسع والتغلغل، الأغلبية العظمى منهن. وبدلاً من كل ذلك فإنهن يرين في الإسلام تجربة قوية وقوة دافعة لهن في الحياة.

وفي واحدة من أكثر المقاطعات في الصين فقراً وحرماناً يصبح الدين القوة الكامنة، بل أول مرة في تاريخ هوي يكون الدين جوازاً لنساء هوي يمررن به إلى حياة أفضل، فإن ارتداء الحجاب ومواجهة النقد من رجال مجتمعهن إنما هما ثمنان زهيدان تدفعهما نساء هوي من أجل بلوغ ذلك الهدف المنشود.

الهوامش

1- David Eimer Beyond Belief in: South China Morning Post Postmagazine 11 Nov. 2007 pp.16- 20 Natalie Behrin.

٢- هذه نظرة مادية محضة تكاد تطغى على المقالة برمتها.



العبيري، صالح بن عبدالله / موسوعة ثقافة المرحلة الثانية الموجزة ـ. الرياض: المؤلف، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ٨٧٦ ص.

جاءت هذه الموسوعة المتنوعة تكملة للمرحلة الأولى (الثقافة العامة) التي عرّفت العناصر، والدول، والبحار، والأنهار، والظاهرات الطبيعية الأخرى، والمخترعات، والمنجزات، والأنشطة البشرية، وغيرها.

فالمرحلة الثانية هي: ما وراء التعريف، إذ تحتوي الموسوعة في هذه المرحلة على تلميح مجالات العلوم، والمصطلحات، والمفاهيم، والنظريات، والنظم. وقد أوجزها المؤلف لتضم أكثر عدد من المفردات، متجاوزاً ما يسببه الإيجاز من خلل. كذلك سعى المؤلف إلى أن يجنبها - ما أمكن - المعجمية والتراجم والسير، إلا أن يكون صاحب السيرة له تأثير عصري.

وجاءت الموسوعة مقتصرة على نتف ومختصرات العلم، والثقافة، والنظريات بإيجاز، إضافة إلى المفاهيم والمصطلحات، وشيء من نتف القواعد الصحية، والطرق العالمية للتحكم في التوازن الجسمي والنفسي، وطرق الإدارة لإدارة الأعمال.

كذلك حاول المؤلف عصرنة الموسوعة، وتقريبها إلى الفهم بالتركيز في العلة والوسيلة، كما أن الموسوعة تحاول تقريب الظاهرات العلمية بواسطة التركيز في الطرق، والمعايير، والأدوات والأجهزة التي توصل العلماء من خلالها إلى المعلومات.

وقد أضاف إليها المؤلف ثلاثة ملاحق تدعم المفردات، الأول: الأرقام، والمعايير، والمقاسات، والثاني: المنظمات، والتكتلات الإقليمية والدولية، والثالث: الرموز والمختصرات. وقد رتبت مفردات الموسوعة ترتيباً ألفبائياً.



لا تقولي لَهُ
أيّ شيءٍ يريحُ فؤاداً
لهُ
أو سيروي بهِ
شتلَةَ الروح.. في صهدهِ
ودَعيه يُراقبُ أصقاعَهُ
واتركيه يهادنُ أوجاعَهُ
ثم يشعلُ في الليل
مذياعَهُ
لغناء رحيم
يجيءُ كما الدمع
يلدغُ جُرْحاً وجُرْحينِ
يهمي على وَجْدِهِ
لا تقولي لَهُ
ربما يَستفزُّ قصائدهُ
كي تلوحَ بعبقرها
وبمرمرِها
وبسُكّرِها
ويشدُّ على ضِلْعِه
ليعودَ فتيّاً كما كان
يرشقُ نعناعَهُ
في براري مَحَبَّتِه
ويرتّب أركانَهُ
ربما يستفيق قليلاً
ليعرفَ مَن صانَهُ
ومن خانَهُ
ومن باعَهُ
ومن كانَ من حولهِ
حَوْلَهُ
ومن صاغَ من صعبهِ
سهلَهُ
لا تقولي له..



ليعود فتيّاً كما كان

محمد عزت عبدالحافظ الطيري

نجع حمادي- مصر

لحن الفرات

يوسف أبو عبدالله

الرياض - السعودية

فـلـلَّـهِ درِّي كـم تـسـيـلُ مـدامـعـي … ودَرُّ أحـاسـيـسـي ودرُّ اشـتـيـاقـيـا

ودرُّ الـفـراتِ الـعـذْبِ نـاءٍ مـذاقُـهُ … ومـا كـنـت قـبـل الـيـوم خَـسـرَّانَ صـاديـا

سـقـانـي كـثـيراً عـذبَـهُ ووِدادَهُ … ومـازال مـنِّـي الـودُّ عـذبـاً وصـافـيـا

ودرُّ لـيـالـي الـصـيـفِ حُـلْـوٌ حـديـثُـنـا … عـلـى شـطِّـهِ أيَّـامَ نـرجـو الأمـانـيـا

ولله درُّ الـجـسـرِ صَـرحٌ مـعـلَّـقٌ … قـنـاديـلُـهُ تِـيْـهـاً تُـحـاكـي الـدَّراريـا

أضـاءتْ صـفـاءَ الـمـاءِ لـيـلاً بـلـونـهـا … فـصـارَ حَـبَـابُ الـمـاءِ نـجـمـاً سـمـاويـا

ودَرُّ الـنـجـوم الـزُّهـرِ كـيـف تـراقـصـتْ … عـلـى مـوجـهِ دَهْـراً تُـضـيءُ الـشَّـواطـيـا

فـشـعَّـتْ لـنـا الأنـوارُ تُـعْـشـي عـيـونَـنـا … نـجـوم وأضـواءٌ ووجـهُ رِفـاقـيـا

فـقـيـثـارتـي ظـلَّـتْ هُـنـاك ومُـهْـجـتـي … وأحْـلـى حـكـايـاتـي ومـلـهـى شـبـابـيـا

ألا فـانـشـدونـي مـن غِـنـاءِ أحـبَّـتـي … غـنـاءً شَـجـيّـاً كـي تُـداوى جـراحـيـا

فـقـالـوا: بـأيِّ الـلَّـحـنِ تـهـوى سـمـاعَـهُ؟ … فـقـلـتُ لـهـمْ: مـا كـانَ لَحْـنـاً فـراتـيـا





الخيول العربية

منير مصطفى البشعان

الطائف - السعودية

الخيول العربية درة الخيول العالمية، ولؤلؤة العرب التي فخروا ومازالوا يفتخرون بها، لمعت وأشرقت في سماء بطولاتهم بعد أن حملت فوق صهواتها الفاتحين الأبطال الصناديد في ميادين القتال، وبعد أن خاضت معهم معارك النصر والتحرير في بقاع الأرض شتى. هذه الحيوانات شاطرتهم أفراحهم وأتراحهم، حزنت لانتكاساتهم، وطربت أيام عزهم إذ رفعوا رايات الكبرياء. هذه الكائنات غنَّت معهم أغاني أمجاد الظفر، وانتشت معهم بأفراح الانتصارات، فلها أفضالها ومنافعها في تاريخهم، إذ هي عناصر أساسية من عناصر البطولة والشموخ والمجد، ومن مكونات فولكلورهم الثرّ التليد. حدَّثتنا عنها كتب تراثنا بكل فخر وإباء، واليوم تحدثنا عنها كتب الغرب مشيدة بعظمة خلقها، وجمال أشكالها، وذكائها، وصفاتها العامة. فهل حافظنا - نحن العرب والمسلمين - على تلك الدرر والكنوز النفيسة، وصُنَّا دماء تلك الخيول من التلوث؟! بل ماذا قدَّمنا كي نحمي ونرعى تلك الأمانة التي أوْدَعها أجدادنا الميامين في أعناقنا؟! إنها صرخة في جيلنا الحاضر تَسْتَحث همم شبابه؛ ليصونوا تلك الأمانة، ويتعرّفوا تراث أمتهم العربية والإسلامية المجيد، إذ الخيل من وسائل الإعداد الحياتية والحربية عند العرب قديماً وحديثاً.



أصل الخيل العربية ونشأتها

من بين جميع سلالات الخيل في العالم تبرز الخيول العربية واحدة من سلالات الخيل الرائعة الجمال. إنها واحدة من السلالات الأقدم في العالم، بل هي السلالة الخيلية التي تعد أقدم سلالة في التاريخ. وإضافة إلى ذلك فإنها الكائنات الأعظم والأكثر جمالاً ووسامة، والأبهى منظراً وهيئةً، والأسمى ذكاءً، والأروع صفات وخصائص ومزايا، والأبهج أداءً وأتقنه وأدقّه، والأسرع خطواً، والأكثر وفاءً وطاعةً وانسجاماً وألفةً وأنساً من جميع خيول سلالات العالم أجمع. لا نشهد بهذا نحن العرب والمسلمين فحسب، بل يشهد به علماء الخيل ومربوها في

أنحاء العالم كافةً، وهذا في واقع الأمر فخر لنا وشهادة مجدٍ لأجيالنا على مرّ التاريخ.

إن الخيول العربية - كما يشير كثير من المصادر- قد تحدَّرت من الخيول البدائية لوسط آسيا وغربها، وقد كان تطورها ونشوؤها قبل ميلاد السيد المسيح بعدة قرون. وفي وقت من الأوقات كانت هناك سلالات كثيرة من الخيول الصحراوية العربية تجوبُ بلاد العرب تمَّ الحصول عليها بعدما امتلك البدو العرب الخيول في نحو القرنين السادس والسابع الميلاديين تقريباً، وذلك من استيلاد الخيول الأصيلة. وكانت عمليات إخصاب الأفراس واستيلادها تتسم بالحذر والعناية والدقة الفائقة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على حرص العرب التام على صفاء دماء الخيل العربية، ونقائها، وسلامة عروقها. ونظراً إلى امتلاك هذه الخيول خصائص النقاء والصفاء والعراقة الكاملة، فقد استخدمت فحول الخيل العربية لتحسين سلالات أخرى كثيرة من الخيول والبوني (فرس قزْم أو مُسَلَّك) pony؛ لأن الخيل العربية أصل السلالات، ولتمتعها بمزايا خاصة تؤهلها لذلك، ولامتلاكها القوة والقدرة الوراثية في هذا المجال. وعليه، فإن أية دراسة تجرى عن سلالات الخيل في العالم لابد أن تُظهر بجلاء ووضوح التأثير العظيم للخيول العربية كسلالة أصيلة وعريقة - بعد السلالات البدائية الأصل - في جميع سلالات الخيل وسلالات الأفراس القزمة في كل مكان من العالم؛ بسبب تفوقها وامتيازها كسلالة في قوتها وقدرتها على نقل الصفات الوراثية الممتازة إلى الذراري الناشئة لكل سلالات الخيل العالمية، بما في ذلك السلالات الخفيفة أو الثقيلة الوزن والهجينة، التي تمَّ تدريجها تصاعدياً من الناحية الوراثية من طريق إدخال دماء الخيل العربية في عروقها، إذ إن خيولنا العربية من الخيول ذوات الدم الحار (الثابتة الحرارة) warm blooded horses المعروفة عالمياً.

ولعل أعظم شهادة افتخار بالخيل العربية، ومدى أصالتها، وتمتعها بخصائص متفرِّدة ميَّزتها من غيرها من الخيول العالمية الأخرى، وأنها أصل الخيول كلها، ما جاء في وثيقة كتبتها خبيرة الخيول العالمية الراحلة المعروفة بالسيدة (ونت وورث)Went worth، إذ أشارت على نحو صريح ومطلق وبوضوح تام إلى أن الحصان العربي وجد بشكل نقي وصافٍ منذ ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وسواء أكان ذلك الأمر صحيحاً إلى حد بعيد أم لم يكن



يتميَّز الحصان العربي بألوانه الزاهية الجذابة

فإنه يبقى أمراً مفتوحاً لتقدير حدس البشر في كل مكان. وتضيف تلك الخبيرة بكل فخر: توجد دلائل وشواهد كثيرة على أن الحصان الأصيل - أو الخيل الأصيلة - وُجد في البلاد العربية ونشأ بها، في الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تزال تغط في نوم عميق، ولا تعرف أسس تربية الخيول، وفي الوقت الذي كانت فيه أراضيها مكونة من مستنقعات وأراضٍ سبخة على نحو واسع وكبير كانت الأراضي العربية والإسلامية قاطبةً مخضوضرة مُزدانة بالخضرة التي توفر الغذاء لكل حيوان، بما فيها الخيول. إن ما أهَّل الحصان العربي لتسنُّم قمة المجد في مجال أصالة الخيول وعراقتها، أو لنقُل: إن سر تفوق الخيل العربية وسيادتها بشكل عام على خيول العالم ينحصر





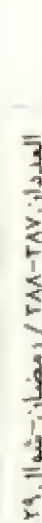
تتميّز الخيول العربية بخواص متأصلة وموروثة

في ثلاثة عوامل: يأتي في المقام الأول عامل قدمها وعتاقتها كسلالة من نوع ومميزات ثابتة، ومن ثم عامل التربية الانتقائية أو الاستيلاد الاصطفائي Selective breeding، الذي طبقه العرب والمسلمون عملياً في بيئته الأصلية طوال حقبة طويلة من الزمن. وثمة عامل ثالث أخير يُساند العاملين السابقين ويكملهما، وهو تمتع الخيل العربية بخواص متأصلة موروثة، منها: المتانة، والخلو من العيوب، وكمال الشكل ودقته، والقوة والقدرة على الاحتمال، والصبر على الشدائد، والبنية الرائعة، والتكيف العجيب، والشجاعة المنقطعة النظير، والسرعة الفائقة، وصفات أخرى غير ذلك يمكن أن يُورثها الفرد من الخيل لذريته. وكل تلك السمات والخصائص هي من الصفات الثابتة القابلة للانتقال عبر الأجيال، ولا يمحوها الزمان، بحيث وسمت وميزت سلالة الخيل العربية، وعرقها الأصيل، وطبعتها بطابع التفوق والتميُّز والبزّ والعراقة.

الخيل في حياة العربي

لم تُعْنَ أمة من الأمم بالخيل عناية العرب بها، فقد أحبها العرب وعُنوا بها وبتربيتها وترويضها وبيطرتها، وحافظوا على أنسالها وأنسابها، حتى إنه عُرف منهم نسابة الخيل وعروقها، كما أُلّفت كتب كثيرة في أنساب الخيل، وتربيتها، ومعالجتها، والعناية بها. هذه الكائنات أحلّها العرب من نفوسهم مكانةً لم يحتلها حيوان آخر قط، ذلك أن الحياة العربية هي حياة فروسية، وقد فرضت عليهم حياتهم الدينية والاجتماعية استخدام الخيل في حلهم وترحالهم وتنقلهم وحروبهم، وبخاصة لنشر الدين الإسلامي دين الحق والخير لكل الناس. وقد كانت الصلة بين العربي والفرس صلة مصيرية، لذلك كانت الخيل أقرب المخلوقات إلى نفوسهم، وهي بعض من الأسرة، وربما كانت أفضل وأعز ما في الأسرة.

وموطن الخيل الجزيرة العربية في نجد وعسير واليمن، ومنها انتقلت إلى سائر البلدان العربية، وحظيت لدى أبنائها بكل التقدير والإجلال والاحترام. وعروبة الخيل وأصالتها وقدمها أمر تؤكده المصادر العربية، بل المراجع الأجنبية، والأحاديث النبوية الشريفة. ففي كتب الحديث أن أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، ولذلك سميت بالعِراب، وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش[1]. وقيل في أول خلقها: «أول ما خلق الله من الخيل خلق فرساً كميتاً، وقال عز وجل: خلقتك عربياً، وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق، والغنائم تقاد على ظهرك، والخير معقود بناصيتك»[2]. ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «اركبوا الخيل؛ فإنها ميراث أبيكم إسماعيل»[3]. وسميت الخيل عراباً لأنها عربية، ففي حديث سطيح: «تقود خيلاً عِراباً؛ أي: عربية، منسوبة إلى العرب»[4]. وقد فرقوا بين الناس والخيل، فقالوا في الناس: عرب وأعراب، وفي الخيل: عِراب. والإبل العراب والخيل العراب خلاف البخاتي والبراذين، ويقال: أعرب الرجل؛ إذا ملك خيلاً عِراباً، أو إبلاً عراباً، أو اكتسبها، فهو مُعْرِب، قال الجعدي[5]:



ويَصْـهـلُ في مـثـلِ جَــوفِ الـطَّـويّ

صَـهِـيـلاً يُـبَـيِّـن لـلـمُـعْـرِبِ

أي: إذا سمع صهيله من له خيل عراب عرف أنه عربي. والتعريب: أن يتخذ فرساً عربياً، ورجل معرب: معه فرس عربي، وفرس معرب: خلصت عربيته[6].

وقد كانت للخيل مكانتها في الجاهلية. وإذا كانت الناقة رفيقة البدوي في صحرائه، يقطع بها الصحاري، ويجوب الفلوات في أسفاره ورحيله، فإن الفرس رفيق العربي في البادية والحاضرة، فهو عدته في الحرب، ووسيلته في الصيد، وفخره في الحياة، فهو من أسباب الملك والزينة والفخر والبطولة والفروسية. وتعجّ كتب الأدب الجاهلي بكثير من أشعار الخيل ووصفها، فقد عاش العربي في جزيرة واسعة تختلف عليها الرمال والأنواء والرياح، وتشتد عليها الطبيعة وتقسو، فكان ينتقل في سبيل العيش على أنواع من الحيوانات. وقد وجد العربي ضالته في معاناته الحياتية، وتحمله شظف العيش ومرارته، في ناقته أو فرسه، ولعل هذا الأخير كان الصديق الأوفى للعربي في حربه وسلمه، لذا راح يفتخر به ويصفه، ويبثه أفراحه ولواعجه بمنتهى الذكاء. ولعل من جميل وصف امرئ القيس فرسه هذه الأبيات الرائقة في معلقته[7]:

وقـد أغـتـدي والـطـير في وكـنـاتـهـا

بمـنـجـرد قـيـد الأوابـــد هـيـكـلِ

مـكـرٍّ مـفـرٍّ مـقـبـلٍ مـدبـرٍ مـعـاً

كجلمود صخر حطه السيل من علِ

مسحّ إذا ما السابحات على الونى

أثـــرن غـبـاراً بـالـكـديـد المـركَّـلِ

لـه أيـطـلا ظـبـي وسـاقـا نـعـامـة

وإرخـــاء سـرحـان وتـقـريـب تـتـفـلِ

وشعر الخيل في الجاهلية كثير وكثير لا مجال لذكره هنا.

وحين جاء الإسلام بشريعته الغرَّاء ازدادت مكانة الخيل، وأصبحت عدة الجهاد في سبيل الله ونشر راية الإسلام، فالخيل تقاتل ولها سهمان، وللفارس سهم، فكان للفارس وفرسه ثلاثة أسهم. وقد كرّم الإسلام الخيل، وأوصى برعايتها والرفق بها وإكرامها، وهل من إكرام أكبر من أن يقسم الله سبحانه بها: «والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً»[8]؟! وقد حث القرآن الكريم على إعداد الخيل وارتباطها بالجهاد؛ لأنها رمز القوة والنصر، ووسيلة المجاهدين لإعلاء كلمة الله وقذف الرعب في قلوب الأعداء، قال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم»[9].

ولأن الإسلام راعى الفطرة البشرية، وقبلها بواقعها، وحاول تهذيبها ورفعها، لا كبتها وقمعها، بوصفه هو دين الفطرة والهداية، وأن القرآن الكريم عدَّ الخيل من جملة رغائب البشر في قوله تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»[10]، فقد أكبر العرب والمسلمون الخيل، وأجلُّوها غاية الإجلال. ففي الآية السابقة يجمع السياق القرآني أحب شهوات الأرض إلى نفس الإنسان: النساء، والبنين، والأموال المكدّسة، والخيل، والأرض المخصبة، والأنعام، وهي مطالب ورغائب بشرية على الأرض، إما بذاتها، وإما بما تستطيع أن توفره لأصحابها من لذائذ أخرى.

وفي العصر العباسي أكرم العباسيون الخيل ووصفوها، وأوغلوا في رسمها كذلك، فجعلها أبو نواس مطية إلى الصيد ليس غير، كما أكثر أبو تمام من وصفها، فجعلها شديدة الحركة والطيش كأنما

توجد دلائل وشواهد كثيرة على أن الحصان الأصيل وُجد في البلاد العربية ونشأ بها، في الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تزال تغط في نوم عميق

عني العرب بتربية الخيول وترويضها وبيطرتها، وحافظوا على أنسالها وأنسابها، حتى إنه عُرف منهم نسابة الخيل وعروقها





عمره في الليل والنهار. لكن العربي - من جانب آخر- كان قاسياً على مطيته، عطوفاً عليها في الوقت نفسه، وهذا يعود إلى حالته النفسية التي يعيشها، والظروف الحياتية التي يمر بها. ومع كل هذا، ففي لحظات الغضب الوجيزة، أو سويعات الألم الكثيرة، كان العربي متعوداً على تطبيق قاعدة ذهبية في رفقته الحياتية مع فرسه، وهذه القاعدة هي: «اذهب واغسل أقدام فرسك واشرب الماء بعد ذلك»؛ أي أن التضمير[12] والعناية بالفرس أهم أمر ينبغي أن ينفذه الفارس، أو أن تلك الخطوة مع الفرس تأتي في المقام الأول قبل شرب الماء، وأنه ينبغي تفضيل الفرس على نفسه. فانظر مدى حرص العربي على اهتمامه بفرسه ورعايته له قبل نفسه.

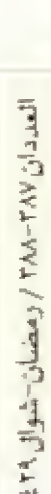
مواصفات الجواد العربي

الخيول العربية خيول رائعة الجمال، فاتنة الشكل، آسرة، فهي بالإضافة إلى أنها من أقدم الخيول في العالم وأنبلها لها خصائص ومزايا كثيرة. فالعرب استطاعوا من خلال التربية والتزاوج الدقيقين المتأنيين أن ينتجوا أحسن أنواع الجياد التي تنقلهم بسهولة ويسر وأمان عبر المسافات الشاسعة من الأراضي. وفي الوقت نفسه، فإن بمقدور هذه الحيوانات الرائقة مقاومة الجوع والعطش بشكل كبير. ولأن قبائل العرب بدو الجزيرة كانت تعتمد في حروبها على الخيول، فقد تطلّب الأمر منها تطوير الحصان العربي الذي يلبّي رغباتهم في كل شؤون

خالطها مسّ من جنون، أو كأنها شربت خمراً فهي سكرى:

كأنما خامره أولق
أو غازلت هامته الخندريس
عوّذه الحاسد بخلاً به
ورفرفت خوفاً عليه النفوس[11]

فهو يحبه ويعوّذه خوف الحسد، ويرى أن النفوس تميل إليه لجماله. إلا أن شعراء آخرين صوَّروا الخيل أروع الصور وأجملها وأدقها، لن نمر على نتاجهم هنا في مقالنا هذا. لقد كان العربي شغوفاً مُولعاً بجياده؛ فهي شريكته في همومه وأفراحه، ولهذا لا نعجب أبداً إن ازداد حبه لها، وتعلقه بكيانها؛ فهي أنسه ورفيق







يقترب شكل الحصان العربي من التربيع؛ لتقارب ارتفاعه مع طوله

حياتهم، وبخاصة الحربية منها. وهكذا استطاع العرب عبر قرون الحصول على أهم مواصفات ومزايا للخيل، ومن هنا يمكننا حصر أهم النقاط والخصائص التي يتمتع ويتفرد بها الجواد العربي فيما يأتي:

- صغير الحجم أو متوسطه، جميل الرأس، قصير المسافة ما بين بروز مفصل الفخذ والضلع الأخير.
- الطاعة وسلاسة الانقياد، وعزة النفس، والغيرة الشديدة على الأنثى، حتى إن الأمر يصل به إلى قتل نفسه إذا أكره، أو أجبر، أو غُشَّ على جماع ابنته، أو أخته، أو خالته، أو عمته، أو إحدى الأفراس من محارمه.
- الجلد والتحمل العظيم، والصبر على الظمأ والجوع، والذكاء والنباهة، والجرأة والبسالة.
- الحصان العربي الأصيل يمتلك رأساً جميلاً، عريض الجبهة، على شكل مخروط ناقص عند المخطم، أو على شكل هرم مربع قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل. والوجه مقعر كالصحن، يستحب فيه دقة الأذنين وانتصابهما، ودقة أطرافهما. أما العيون فتكون كبيرة مستطيلة، مملوءة حدة، صافية براقة، متألقة، شديدة الاستشراق، قوية الانتباه.
- فتحتا الأنف (المنخران) واسعتان مستديرتان.
- الفكان واسعان عريضان.
- ومن الناحية التشريحية، يتميز الجواد العربي بأن عدد فقراته الظهرية والعُصعصية أقل من الفقرات الظهرية والعصعصية لفقرات باقي خيول العالم الأخرى؛ إذ تقل الفقرات الظهرية بواحدة، كما تقل الفقرات العصعصية بواحدة أو اثنتين.
- في التكوين أو الهيئة العامة، تتميز سلالة الخيل العربية بأن الرأس فيها يكون مرفوعاً للأعلى بشموخ وفخامة وعزة، وذلك على رقبة طويلة متناسقة مستديرة الكفل، منحدرة الأكتاف بشكل سلس وتدريجي. أما الظهر (الصهوة) فيكون قصيراً، والخاصرة كاملة استدارة الأضلاع. ويكون الذيل مرفوعاً عن العجز قليلاً، والفخذان عريضين. كما أن الوركين يكونان عريضين أيضاً. والحصان العربي - إضافة إلى ذلك - طويل الفخذين، طويل وظيفي اليدين، قصير العضدين والساقين، جميل الأرجل، وهي تبدو منتصبة كالأعمدة.
- يتميز الحصان العربي بألوانه الزاهية الجذابة، وأهمها: الأبيض، والأشهب، والأدهم، والأحمر، والأشقر، وغيرها. كما

استطاع العرب من خلال التربية والتزاوج الدقيقين المتأنيين أن ينتجوا أحسن أنواع الجياد التي تنقلهم بسهولة ويسر وأمان عبر المسافات الشاسعة من الأراضي

تطلق على الخيول بعض الصفات حسب لون جبهتها (الأغر)، أو تحجيل قوائمها (المحجل).

إن اللون الغالب على الحصان العربي هو البُنّي المحمر، أو الرمادي الأشيب، أو الكستنائي، ويوجد بعض الأفراد - ولكن على نحو قليل - بلون أبيض أو أسود. وحسب قول العرب المأثور. فإن أرشق الجياد وأسرعها هو الكستنائي؛ أي: البني المحمر، وأكثرها جلداً الكميت، وأشدها جرأةً ونشاطاً السوداء، وأكثرها تباركاً البيضاء. وغالباً ما توجد بعض العلامات البيضاء على الرأس أو الأرجل، وهو أمر مألوف وشائع، إلاّ أن الخيول العربية العتيقة (الأصيلة) لا تضم أفراداً مرقطةً أو ذات بقع. أما الجلد فيكون أسود اللون دائماً مهما كان لون الشعر الذي يكسوه.

- يقرب شكل الحصان العربي من التربيع؛ لتقارب ارتفاعه مع طوله؛ إذ يبلغ متوسط طوله ١٥٥ سنتيمتراً، ومتوسط ارتفاعه نحو ١٥٠سنتيمتراً، ويراوح محيط الصدر بين ١٤٩ و ١٨٨ سنتيمتراً بمعدل ١٧٣ سنتيمتراً. أما وزن الحصان العربي البالغ فيراوح بين ٥٠٠ و٤٠٠ كيلو غرام.

ما يُستحبُ في الحصان العربي من صفات شكلية

نظراً إلى عناية العرب الفائقة بالخيل، فقد سمّوا كل جزء من أجزاء جسم الحصان بأسماء كثيرة؛ فالرأس أهم أعضاء الحصان لاحتوائه على أهم الحواس الحيوية، وهذا الرأس يستحب فيه تناسقه مع بقية أجزاء الجسم، ويتميز بتقعره عند قصب الأنف، وخلوه من اللحم، ورقة الجلد. يلتقي الفكان السفليان بزاوية واسعة تسمح للحنجرة باستيعاب أكبر كمية من الهواء في أثناء السباق.

ويستحب في الأذنين الدقة والصغر، واتجاه أطرافهما إلى الداخل، والانتصاب، والحركة السريعة في كل الاتجاهات. كما يستحب في النامية (الغرة، وهي الشعر المسترسل على الجبهة) الغزارة، والطول، وصفاء اللون.





وتحدد العينان أصالة الجواد العربي، فهما متباعدتان بيضاويتا الشكل، صافيتان وبراقتان. ويستحب فيهما السعة، وكثرة السواد، والتكحيل، واللمعان، والرؤية الجيدة، والأهداب السوداء الطويلة، ورقة الجفون والحاجبين.

أما المنخران فيفضل فيهما السعة، والمرونة، ونعومة الملمس، والاتساع لاستيعاب أكبر كمية ممكنة من الهواء في أثناء الجري. ويُستحب في الشفاه أن تكون رقيقة ملساء ومضمومة، ومطاطية القوام، تتساويان في الطول عند الانطباق.

ويستحب في العنق أو الرقبة الطول والتناسق مع بقية أجزاء الجسم؛ لتُسهِّل امتداد الأطراف الأمامية في أثناء الجري، ويستحب فيها التقوس، والشموخ، وقوة العضلات، والشعر الحريري، والشعر الطويل الذي يعطي الحصان العربي جمالاً خاصاً. كما يستحب في الغارب (الحارك)، وهو ملتقى لوحي الكتفين، الاستدارة، والبروز، والخلو من الدهن.

أما الظهر أو الصهوة، فيستحب فيه القصر، والاستواء، وقوة العضلات، ويكون عدد الفقرات القطنية أقل بفقرة أو فقرتين في الحصان العربي عن غيره من الخيول.

ويستحب في الصلب (الجنب) قصره، وعرضه، واستقامته، مع تحدّب بسيط. والكفل يلي الصلب ويتصل بالذنب، ويستحب فيه انحناء خطه العلوي إلى الأسفل باعتدال حتى منبت الذنب، وكذلك العرض، وشدة العضلات.

ويستحب في الذنب أن يكون مرتفعاً؛ إذ يقال: إن الحصان مشوال أو شيال؛ أي: أن ذنبه يرتفع شاقولياً عند الخبب أو الجري. ويستحب في شعر الذنب (السبيب) الكثافة، والنعومة، والملمس الحريري، والطول.

كما يستحب الصدر العريض، ذو العضلات البارزة المتناسقة، والمتسع؛ ليعطي مجالاً للرئتين لاستيعاب أكبر كمية ممكنة من الهواء في أثناء التنفس. ويستحب في الأضلاع أن تكون عمودية في موقعها، ومتناسقة الطول، مشكلة زاويةً قائمةً مع الجسم. أما البطن فيستحب أن يكون ضامراً غير متسع.

وقوائم الحصان العربي الأمامية مستقيمة، وقوية، وجميلة، ورشيقة. ويستحب في العضد قصره، وعضلاته المفتولة، وفي المرفق بُعد طرفه عن الجسم، وحرية حركته، وفي الساعد اتساعه، وقوة تركيبه وعضلاته، وفي الركبة عرضها إلى الأمام، وتسطيحها،

تحدَّرت الخيول العربية من الخيول البدائية لوسط آسيا وغربها، وقد كان تطورها ونشوؤها قبل ميلاد السيد المسيح بعدة قرون

وخلوها من الندبات، وفي الوظيف استدارته، وصلابته، وانتظامه، وفي المعصم (الرسغ) اتساعه من الجانبين، وألّا يزيد في ثخنه على عرض الساق في جزئه الواقع أسفل الركبة مباشرة، وفي الحافر الأمامي سماكته، وتماسكه، واعتدال الاتساع، وأن يكون دائري الشكل وأسود اللون (عدا الخيول المحجلة).

أما القوائم الخلفية، فيستحب فيها قوة العضلات، وتناسقها، ووسعها الشاقولي مع العرقوب، وأن تكون عضلة سمانة الساق واسعة ونامية. ويستحب في الساق الطول، وفي العرقوب أن يكون عريضاً، كبير الحجم، خالياً من النتوءات، وفي الوظيف الاستدارة، والسعة، والطول، وفي الحافر الخلفي أن يكون بيضاوياً، وأقل استدارة، وأكثر شاقوليةً واستقامةً من الحافر الأمامي، وأن يكون صحن الحافر أكثر استواءً، والسنبك أرق منه في الحافر الأمامي.

الشِّيات والتحجيل في الخيول العربية

الشية: كل لون يخالف معظم لون الفرس، فإذا لم يكن شية فهو بهيم، ومصمت، في أي لون كان.قال أبو عبيدة: فإذا اشتابت الناصية ببياض فذلك السعف، فإذا ابيضت جميعها فتلك الصبغة، والفرس أصبغ، وكذلك إذا ابيض أطراف ذنبه، فإذا كان بجبهته بياض قدر الدرهم الصغير، أو دون ذلك، فهي القرحة، والفرس أقرح، فإذا قلّت عن ذلك فهي خفية، ويسميها أهل الزمان النجم، صغرت أم كبرت، فإذا كان من شعر نتف فابيضت فهي مغدة، بالغين المعجمة والدال المهملة. فإذا كان في القرحة شعرات تخالف البياض فهي قرحة شهباء، وإذا اتسع البياض في الجبهة حتى تصير أكبر من الدرهم الضخم فهي غرة، والفرس أغر، فإذا دقّت في الجبهة وقصبة الأنف، واستطالت حتى جلّت الخيشوم، ولم تبلغ الجحفلة، فهي شمراخ، فإذا اعتدلت الغرة على قصبة الأنف وسالت، ولو

عرضت مع الاعتدال، فهي سائلة، فإذا فشت في الوجه وانتشرت ولم تصب العين فهي شادخة، فإذا أصابت عينيه حتى تبيض أشفارهما فهو مُغْرَب: بفتح الراء، فإذا أصابت أحد العينين فهو أشرع وأشيع، ولم نجد لها بين اللفظين حقيقة في لغة العرب. فإذا ابيض موضع اللطمة من أحد الخدين، أو كليهما، فهو لطيم. ولا يكون لطيماً حتى تصيب الغرة العين مع الخد، فإذا أخذت جميع وجهه، غير أنه ينظر في سواد، وبلغ الجحفلة ولم يجاوزها، فهو مبرقع. فإذا بلغ البياض المرسن، ثم انقطع وارتفع من منخريه وصعد إلى عينيه، ولم يبلغ الجبهة، فهو غرة منقطعة، فإذا دقَّت من الغرة إلى عينيه مواضع وتقطعت فهي منصرمة، فإذا كانت متفرقة فهي مستعانَّة بتشديد النون، فإذا كان فيها شعرات تخالف البياض فهي شهباء. ويقال: أغر وتيرة: إذا كانت غرته مستديرة كالوردة، وأصل الوتيرة الحلقة التي يُتعلَّم فيها الطعن، فإذا سالت ودقَّت فهي عصفور، فإذا استوت على قصبة الأنف فهي يعسوب، وقيل: كل بياض يكون على طرف الأنف ثم ينقطع قبل أن يتساوى بأعلى المنخرين، وإن ارتفع على قصبة الأنف، سواء عرض أم اعتدل، وقلّ أم كثر، حتى يبلغ أسفل الخليقاء فهو يعسوب، كالعرنين في الإنسان.

وقيل: اليعسوب خط من بياض الغرة ينحدر حتى يمس الخطم، ثم ينقطع، فإذا ابيضت الجحفلة العليا فهي الرثمة، والفرس أرثم، فإذا ابيضت جحفلته السفلى فهو ألمظ: بالظاء المعجمة، قال النضر: الألمظ الذي ابيضَّ جحفلتاه حتى يمس لسانه، فإذا كان بأذنيه نقش بياض فهو أذرأ، فإذا كان في وسط رأسه بياض فهو أصقع: بالصاد المهملة والقاف، فإذا فشا البياض في المنبت من الناصية وما حولها فذلك التعميم، والفرس معمم، فإذا ابيضَّ رأسه كله فهو أغشى: بالغين والشين المعجمتين، وهو أيضاً أرخم: بالخاء المعجمة وراء قبلها مهملة، فإذا ابيض قفاه فهو أقنف: بالقاف والنون، فإذا ابيض رأسه كله وعنقه فهو أدرع، وقال الجوهري: الأدرع من الخيل والنساء الذي اسودّ رأسه وابيض سائره، ومنه قيل لثلاث ليالٍ من ليالي الشهر اللاتي يلين البيض: الدُّرَع، على وزن صُرَد: لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها، فإذا ابيض ظهره فهو أرحل: بحاء مهملة غير معجمة، فإذا ابيض عجزه فهو آزر، يسمى بذلك لأنه موضع الإزار للإنسان، كأنه مؤتزر.

فإذا كان في عرض الذنب بياض فهو أشعل، فإذا ابيض الذنب كله أو طرفه فهو أصبغ، فإذا ابيض الرأس والذنب خاصة فهو المطرف، وكذلك إذا كان أسود الرأس والذنب من دون سائر جسمه، فإذا كان أبيض الجنب أو الجنبين فهو أخصف: بالخاء المعجمة والصاد المهملة، فإذا كان أبيض البطن فهو أنبط: بالطاء المهملة، وقال ابن شميل: الأنبط أن يكون البياض منه في الرفغين والإبطين، والأرفاغ المغابن من الإبطين وأصول الفخذين، قال الراجز:

قـد زوَّجُـــوني جَـيْـــألاً فـيـهـا حَـــدَبْ

دقـيـقـةَ الأرْفَـــاغِ ضَـخْـمـاءَ الـرّكَـبْ

والجيأل بالهمز: من أسماء الضبع، فإذا كان البياض في بطنه وجنبيه إلى الظهر فهو أخرج، شبَّهوه بمكان الخرج من الدابة.

والتحجيل: إذا كان في إحدى يدي الفرس بياض، قلّ أو كثر، فتلك العصمة، والفرس أعصم اليمنى أو اليسرى، فإن كان في يديه معاً فهو أعصم اليدين، ويكرهه المتأخرون، ويسمونه العجان، فإن كان في وجهه وضح فهو محجل، ويذهب عنه اسم الأعصم، فإن كان في إحدى يديه بياض وفي وجهه وضح فهو أعصم لا يقع عليه اسم التحجيل، فإن بلغ البياض يديه إلى مرفقيه دون رجليه فهو أقفز ومقفز، كأنه لبس القفازين، فإن كان البياض في مؤخر أرساغ يديه أو رجليه، ولم يستدر، فهو منعل يد كذا أو رجل كذا، أو منعل الرجلين أو اليدين، وإن كان البياض في مؤخر أرساغ رجليه دون يديه، واستدار فوق الأشعر، ولم يبلغ الوظيف، فذلك الرَّجَل، والفرس أرجل، وهو يكره ما لم يكن وجهه أوضح، فإن كان في وجهه قرحة أو غرة لم يكره، وقد مدحته العرب مع القرحة، قال الشاعر:

أســـيــلٌ نـبـيـلٌ لـيـس فـيـه مَـعَـابَـةٌ

كُـمَـيْـتٌ كـلـونِ الـصِّـرْفِ أرجَـلُ أقْـرَحُ

وقيل: لا يُكره الرَّجَل إلاّ إذا كان البياض في الرجل اليمنى خاصة، فإذا كان البياض في الرجلين معاً فذلك التخديم، والفرس أخدم،

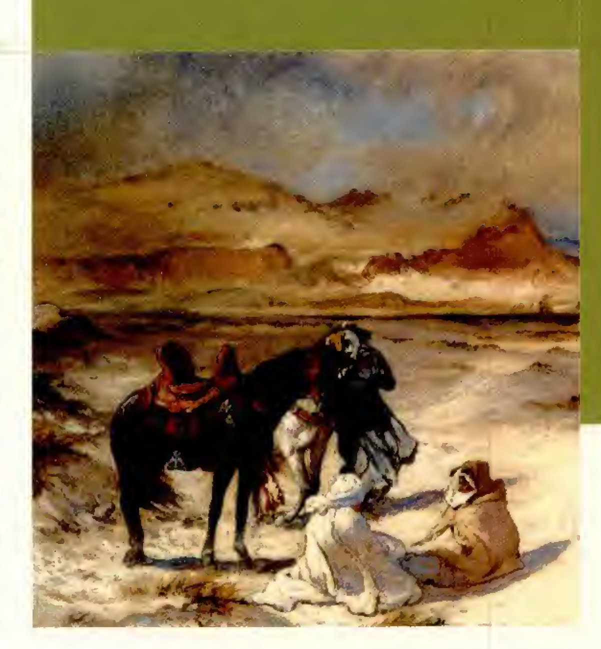
الحصان العربي مميز؛ فهو الحصان النقي السلالة، والأعلى درجةً ونوعاً، والأسمى منزلةً بين الخيول، والأكثر امتيازاً بجماله العظيم

والخدم مأخوذ من الخَدَمَة، وهي ما تتخذه نساء الأعراب من عقيق أو سواه مكان الخلخال، والتخديم ما لم يجاوز الأرساغ، فإذا كان البياض في قوائمه كلها، أو في ثلاث منها، بعد أن يجاوز الأرساغ، ولم يجاوز الركبتين ولا العرقوبين، فذلك التحجيل: لأنها مواضع الأحجال، والفرس محجل، فإذا كان التحجيل في قوائمه الأربع قيل: محجل الأربع، وإن كان في ثلاث دون يد أو رجل قيل: مطلق يد كذا. ولا يقع اسم التحجيل في يد أو في يدين ما لم يكن معها أو معهما تحجيل رجل أو رجلين، وإلاّ فهو أقفز كما ذكرنا آنفاً، فإن كان محجل يد ورجل من شق فهو ممسك الأيامن مطلق الأياسر، فإن كان في يد ورجل من خلاف، قلّ أو كثر، فذلك الشكال، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكره الشِّكال في الخيل.

واختلف في الشِّكال، قيل: هو أن يكون البياض بيده اليمنى ورجله اليسرى، أو بيده اليسرى ورجله اليمنى، قاله أبو داود في سننه بإسناده. وقيل: الشكال أن يكون للفرس قوائم محجلة وواحدة مطلقة من الرجلين خاصة، وهذا رواه النسائي والترمذي، وهو مذهب أبي عبيدة، قال: وهو مأخوذ من الشِّكال الذي يشكل به الخيل يشبهه به، قال: لأن الشكال في الغالب يكون في ثلاث قوائم. وقال ابن دريد: الشكال أن تكون الحجلة من الفرس في يد ورجل من شق واحد، فإن كان مخالفاً قيل: شكال مخالف. وقال غيره: الشكال بياض الرجلين ويد واحدة، وليس بشيء.

والصحيح في صفة الشكال: أن يكون في يد ورجل من خلاف، قل أو كثر، وهو الذي ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود. وقال بعضهم: إذا كان مع الشكال غيره لم يكره. وأقل وضح القوائم





الصلة بين العربي وفرسه صلة مصيرية

الخـاتم، وهـو شعيرات بيض تكون في شعر الحـافر متقدمةً أو متأخرةً، فإذا جاوز ذلك حتى يكون البياض واضحاً فهو مُنْعَل ما دام في مؤخر الرسغ مما يلي الحافر، فإذا ابيضَّت أطراف الثُّنن فذلك الكَسَع، يقال: فرس أكسع. والثُّنَّة: الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة المسبلة على أم القردان، والفرس أكسع، فإذا ابيضت الثنن حتى صعدت إلى مرسنه فذلك التجبيب، والفرس مجبب، قال الجوهري: التجبيب أن يبلغ التحجيل ركبة اليد وعرقوب الرجل، وقال النضر: المجبب الذي ابيضت أوظفته كلها إلى أنصافها، فإذا تجاوز بياض التحجيل إلى العضدين والفخذين فهو أبلق مسرول، وقال الأصمعي: إذا جاوز البياض الركبة من اليد والعرقوب من الرجل فهو أبلق، وأهل زماننا يسمونه أشرع. قال: وفي كل الألوان يكون البَلَق، وكل لون يخالطه بياض فهو بلق، قال: والبَلَق هجنة في الخيل؛ يعني: ما خالطه البياض من سائر الألوان.

ذكر دوائر الخيل وما يكره وما يستحب منها

قال ابن قتيبة: في الفرس ثماني عشرة دائرة، يكره منها: الهَقْعَة، وهي التي تكون في عرض زور الفرس، وهي عند المتأخرين الزَّعنية. ودائرة القالع، وهي التي تكون تحت اللِّبْد، وهي محلة الحارك، تكره ويُتشاءم منها. ودائرة الناخس، وهي التي تكون تحت الجاعرتين إلى الغائلين[١٣]. والجاعرتان هما حرفا الوركين المشرفان على الفخذين، وهما حيث يضرب الفرس بذنبه على فخذيه، وهي الكواسج عند المتأخرين. والغائلان: النقرتان فوق الخاصرتين بعد آخر الأضلاع. قال: ودائرة اللَّطاة، وهي وسط الجبهة، وليست تكره إذا كانت واحدة، فإن كان هناك دائرتان قالوا: فرس نطيح، وذلك مكروه. قال: وما سوى ذلك من الدوائر غير مكروه، ولم يذكر باقيها. وقال أبو عبيدة: وفيه خمس عشرة دائرة: دائرة المُحيَّا، لاصقة بأسفل الناصية، ودائرة اللَّطاة في وسط الجبهة، فإن كانتا اثنتين فهو نطيح، ودائرة اللاهز على اللهزمة، وهما لهزمتان، عظمان نابتان في اللحيين تحت الأذنين، ويكرههما المتأخرون، ويسمونها اللاطمة. قال: ودائرة العَمُود في وسط القلادة، وهي العِذارية عند المتأخرين، ويستحب أن تكونا اثنتين. قال: ودائرة السمامة في وسط عرض العنق، فإذا تأخرت حتى تقارب الكتف كرهت في اصطلاح المتأخرين، ونسبوها إلى نخلة الحارك، وإن تقدمت في الصف لم تكره عندهم. قال: ودائرة الناحر؛ بالحاء والراء المهملتين، التي تكون في الجران إلى أسفل العنق مما يلي الصدر، وهي التي تسمى نخلة السعود في اصطلاح المتأخرين كما تقدم. قال: ودائرة البَنيقين، وهما دائرتان في نحر الفرس، ودائرة القالع تحت اللِّبد، وهي نخلة الحارك في اصطلاح المتأخرين.ودائرة الهَقْعَة في عرض زوره، فإن كانت في الشقين معاً فهي نافزة، وهي دائرة الحزام، وتكره. وقال: وكانت العرب تستحب الهقعة ثم كرهوها، يقال: إن المهقوع لا يسبق أبداً.

ودائرة الصَّقْرين بين الحَجَبَتين، والحَجَبَتَان: العظمان المشرفان على الغائلين اللذين ذكرناهما آنفاً فوق الخاصرتين، ودائرة النَّاخس تحت الجاعرتين، وهي في اصطلاح المتأخرين الكواسج.

وذكر ابن شميل فيما في الفرس من أسماء الطير: دائرة الخطاف، وهي عند المركض، ودائرة العصفور، وهي عند عقب الفارس، ولا أرى بين المركض وعقب الفارس فرقاً.

وقال الأصمعي: العصفور أصل منبت الناصية، أما إذا صح هذا فدائرة العصفور هي العذارية، وهي تستحب إذا كانتا اثنتين، وتكره إذا كانت واحدة، ويكون الفرس بمنزلة الأعور، فإن عدمتا معاً كان أشد كراهة، وقيل: أعمى، وهذا اصطلاح المتأخرين، ولم يذكرها الجوهري ولا غيره سوى الأصمعي.

ومما لم يذكره أهل اللغة والتصانيف في الخيل من الدوائر: الذِّراعية، وتكون في ظاهر الذراع من إحدى اليدين، فمن الناس من يكرهها، ومنهم من يتسامح فيها، والعرب تسميها المحرقة، وزعم المتأخرون أنها من علامات بنات الرعد الفحل المشهور في العرب الجحافل باليمن.

أنساب الخيل العربية المشهورة

نسب العرب خيولهم إلى خمسة أصول رئيسة، هي: الكحيلة (كحيلات)، الحمدانية (حمداني)، العبية (عبيان)، الهدبا (هدبان)، والصقلاوية (صقلاوي). وتتفرع من هذه الأصول أسماء أخرى، وتسمى العائلات المتفرعة منها بأسماء قبائلها.

سميت الخيل بالكحيلة: لكحل في عينيها ولوسعهما. وتفرع من هذا النسب كحيلة العجوز، وكحيلة تامر، وكحيلة الفرس، وكحيلة كروش، والدحاء العامرية، وكحيلة الحمدانية، وكحيلة الغزالة، وكحيلة المضببة، والكحيلة، والمرجية، وكحيلة أم جنوب، وكحيلة الذمية، وكحيلة الجربشية، وكحيلة الخذلية، وكحيلة الحيقية، وكحيلة الودنة، وكحيلة الجلابية، والكحيلة الصوينتية، وكحيلة الجربية، وكحيلة الروضانية، وكحيلة سمحة القميع، وكحيلة الحرقة، وكحيلة نجوى.

وسميت الخيل بالصقلاوية: لصقالة شعرها، وكبر خاصرتها، وسرعة عدوها، ومنها: صقلاوية جدران، والصقلاوية الويبرية، وتفرع منها صقلاوية ابن زينة، وصقلاوية الحتيري، والصقلاوية المرزقانية، والصقلاوية الشعيفية، وصقلاوية ابن بصرى.

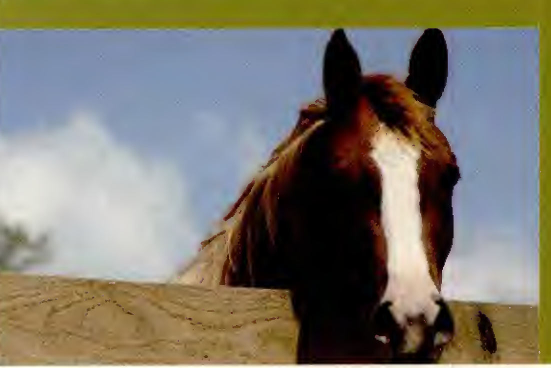
كما سميت الخيل عبية الشراك؛ لأنها أمسكت عباءة فارسها حتى نهاية السباق، ومنها: عبية ابن عليان، وعبية السحيلية، وعبية الأطرم، وعبية ابن شمدان، وعبية الأصليع، وعبية ابن روام، وعبية ابن هنديس، وعبية لبدة، وعبية هويثة، وعبية أم جريس، وعبية منيحيز، وعبية ابن دولحيس، وعبية العويلي. وكذلك سميت الخيل بأم عرقوب؛ لالتواء في عرقوبها، وشويمة السباح؛ لوجود شامات على جبينها (الشويمة)، والمعنق (المعنقية): لجمال عنقها، والهدبة (هدبة مشيطب وهدبة الفواعرة).

وهناك أسماء أخرى تتفرع أساساً من الأنساب المذكورة أعلاه، أهمها: الجلفة (مثل: جلفة سطام البولاد، وجلفة الفريحة، وجلفة الصخرة)، والطويسة (مثل: طويسة قياد)، والمخلدية (مثل: مخلدية السرور، ومخلدية الأجفم)، وغيرها. وكانت خيول النبي صلى الله عليه وسلم: اللزاز، ولحيف، والمرتجز، والسكب، واليعسوب. وللخيل عند العرب أصول وحسب ونسب تعرف بالرسن والبيت، وتسجل أسماؤها بحجج (حجة) وأوراق مشهود بها من شيوخهم وكبار فرسانهم. ولكل منطقة خيل تختلف حسب الظروف البيئية السائدة في تلك المنطقة، فالخيل الحجازية ذات أحداق حسنة سوداء، صلبة الحوافر، وأرساغها جيدة. والخيل النجدية طويلة الأعناق، مدورة الرأس، قليلة لحم الخد، دقيقة الآذان، عريضة الأكفال، رحبة البطون، غليظة الأفخاذ. والخيل اليمنية مدورة الأبدان، قصيرة الأعناق، خشنة القوائم غليظتها، حادة الأكفال، خفيفة الأجناب. والخيل الشامية جميلة الألوان، كبيرة الأحداق، صلعاء الجبهة، لينة الحوافر. ومن الخيل العربية السورية، الرشيقة الجسم، الجميلة الطلعة، المتناسقة الألوان، ما يربى في بادية الفرات القريبة من العراق ومنطقتها (في محافظة ديرالزور ومدينة أبي كمال)، وفي مناطق الجزيرة السورية (محافظة الحسكة وما يجاورها من قرى)، وهي خيول أصيلة لها أنسابها العربية المعروفة المشهورة، المسجلة رسمياً في سجلات وزارة الزراعة السورية، والخيل المصرية طويلة الأعناق، حديدة الآذان، قليلة الشعر، دقيقة القوائم، طويلة الأرساغ، جيدة الحوافر. والخيل المغربية عظيمة الأعناق، طويلة السبيب غزيرته، ضيقة المناخر، غليظة القوائم، مدورة الأوظفة، عاتية الوجوه. وقد قيل: إن أشرف الخيل الحجازي، وأيمنها النجدي، وأصبرها اليمني، وأشدها هملجةً المصري، وأنسلها المغربي، وأحلاها وأجملها السورية. أما الخيل الأجنبية فغليظة الأبدان، عظيمة الصدور والرقاب، عريضة الأكفال، واسعة، قوية الحوافر.

كما صنفت العرب خيولها إلى ثلاثة أصناف:

عروبة الخيل وأصالتها وقدمها أمر تؤكده المصادر العربية، بل المراجع الأجنبية، والأحاديث النبوية الشريفة





أكثر الخيول العربية جلداً الكميت، وأشدها جراءةً ونشاطاً السوداء، وأكثرها تباركاً البيضاء

العراب: وهي أفضل الخيول العربية الأصيلة، وقد سبق أن عرَّفناها من قبل. والعجميات: وهي خيول الجر والعمل (الأكاديش) وأصلها في بلاد الترك والروم. والمولدات: وهي ناتج التهجين (التصالب) بين الخيل العراب والعجميات، فإذا كان الحصان عربياً، والأنثى عجمية، سمي الناتج (مقرفاً)، وإن كانت الفرس عربية، والذكر عجمياً، سمي الناتج (هجيناً).

هذا، وتتعدد عروق الخيول في العالم، وتربى حسب الهدف منها، وقد أمكن تطوير عروق متميزة منها، أهمها تلك التي دخل فيها دم الحصان العربي، ومن أهم هذه الخيول: خيول الثوروبريد، والبارب (أو البربري)، وحصان الركوب الأمريكي، والموستانغ، والأبالوسا، وحصان الربع الأمريكي، وعروق خيول أخرى؛ مثل: حصان الركوب الغربي، والهولشتاين البلجيكي، والإسباني، والهانوفر، وغيرها، وخيول البوني الصغيرة الحجم، وكل تلك العروق أدخل الدم الخيلي العربي إليها.

حركات السير والخبب والعدو

يشتهر الجواد العربي بمشيته الجذّابة وهو شامخ العنق والرأس والذيل، وتصل سرعته إلى (١٠٠٠) متر في الدقيقة عند الانطلاق، وإلى نحو (٧٦) كيلومتراً في الساعة، وهو سيد سباق المسافات الطويلة (١٠٠) ميل، ولم يسبقه في التاريخ سوى حصان الثوروبريد العربي الأصل، وذلك في سباق المسافات القصيرة.

ولكل حركة من حركات الحصان تسمية معينة، منها:

السير أو المشي: وهو حركة ذات أربع نقرات تمثل حدث وقع الحوافر الأربعة على الأرض عند المشي، الذي يتم بتحريك إحدى القائمتين الأماميتين أولاً، وتليها القائمة الخلفية في الجانب المخالف، ثم القائمة الأمامية الثانية، فالقائمة الخلفية الثانية.

تهبط القوائم الأربع علىالأرض بالترتيب نفسه الذي ارتفعت به عن الأرض، ويكون سير القائمة الخلفية في خط مستقيم في إثر القائمة الأمامية من الجانب ذاته. ويستحب في السير أن يتجاوز موطئ الحافر الخلفي موطئ الحافر الأمامي مع توافر الاستقامة.

الخبب: حركة ذات نقرتين، وتتطلب جهداً أكبر من المشي؛ نظراً إلى أنه أسرع. والخبب حركة يجيدها المهر والجواد على حدّ سواء من دون تدريب، فيرفع الحصان قائمة أمامية وقائمة خلفية من الجانب الآخر، وتقع القائمتان معاً على الأرض، بينما ترتفع القائمتان الأخريان معاً لتهويا على الأرض بعد ارتفاع القائمتين السابقتين، وهكذا. وبين وقع القائمتين وارتفاع القائمتين الأخريين يشاهد الحصان وهو طائر في الهواء.

العدو أو الجري: الجري السريع الحركة ذو أربع نقرات يتحقق بمرحلتين: في المرحلة الأولى تضغط قوائم الحصان على الأرض ثم تدفعها بقوة للوثوب نحو الأمام، وترتفع القوائم بترتيب معين، ثم تترك قائمةٌ خلفيةٌ الأرض، تليها القائمة الخلفية الثانية، ثم القائمة الأمامية الكائنة أمام القائمة الخلفية التي تركت الأرض أولاً، ثم القائمة الأمامية الثانية. أما في المرحلة الثانية من الجري السريع فتهبط القوائم على الأرض بالترتيب نفسه الذي انطلقت فيه، وتضربها بقوة دافعةً الحصان إلى الأمام وثباً.

والجري البطيء الحركة ذو ثلاث نقرات يتحقق بطريقتين: في الطريقة الأولى يعدو الحصان على القاطع الأيسر، وفيها ترتفع القائمة الخلفية اليمنى، ثم القائمة الخلفية اليسرى والقائمة

الأمامية اليمنى في وقت واحد، ثم القائمة الأمامية اليسرى. وفي الطريقة الثانية يعدو الحصان على القاطع الأيمن، وفيها ترتفع القائمة الخلفية اليسرى، ثم القائمة الخلفية اليمنى والقائمة الأمامية اليسرى في وقت واحد، ثم القائمة الأمامية اليمنى.

وعليه، فإن تحرك الحصان العربي هو تحرك مميز من بقية الخيول العالمية، وهو في الوقت ذاته تحرك متناسق ومنسجم مع أعضاء جسمه المختلفة، أضف إلى هذا ما يمتاز به هذا الحصان من سرعة في الأداء، وإتقان في تنفيذ الحركة، وذكاء في التوقف، والمتابعة، والالتفاف، والدوران، والوثب، والصعود، والهبوط، التي تتطلبها كل حركة يقوم بها، أو يطالبه الفارس بالقيام بها.

إضافة إلى ذلك، فقد اهتم العرب بسرعة الحصان، ووصف حركات أعضائه عند الجري بمختلف درجاته؛ فالرديان: عندما يرجم الحصان الأرض رجماً بحوافره، والدحو: عندما يرمي بيديه رمياً من دون رفع السنبك عن الأرض كثيراً، والإمجاج: هو العدو من دون حماس شديد، والإحضار: هو أن يعدو عدواً متداركاً؛ أي: متواصلاً وبالسرعة نفسها، والإرخاء: أشد حماساً من الإحضار، والأهذاب (الإلهاب): هو الجري بحماس شديد، والإهماج: هو أقصى سرعة الحصان. وقد حفل ديوان الشعر العربي بوصف هذه الحركات في سرعتها وبطئها.

شهادات فخار غربية بأصالة خيولنا العربية ونبلها

لئن كان العرب قد فخروا بأصالة الخيل ونبلها وعراقتها، وهاموا بها حباً وعشقاً، فإن الغرب قد أثنوا على الخيل العربية، ومجّدوا أصالتها ونُبلها، وافتخروا بجمالها وتناسقها وصفاتها الرائعة الفريدة، وإليكم بعضاً من هذه الشهادات التي تُكْبر خيلنا العربية، وتُشيد بأصالتها، لا تعاطفاً وتزلّفاً، ولكن هي الحقيقة التي تمثّلت أمامهم كالشمس في وضح النهار.

يقول إدوارد ي. هـ. مؤلف كتاب (دليل الخيول والخيول

الهوامش والمراجع

١- جامع الأصول ٥/٤٥. حياة الحيوان ١/٤٤١.
٢- حياة الحيوان ١/٤٤. الرسولي، فصل في ذكر أوائلها.
٣- السابق. جامع الأصول في أحاديث الرسول ٥/٤٥.
٤- اللسان، مادة (عرب).
٥- شعر النابغة الجعدي، ص ٢٣. اللسان، مادة (عرب).
٦- اللسان، مادة (عرب).
٧- فنون الأدب العربي، الفن الغنائي - الوصف، ص ١٦-١٧.
٨- العاديات: الآيات (١-٥).
٩- الأنفال: الآية (٦٠).
١٠- آل عمران: الآية (١٤).
١١- أولق: جنون، الخندريس: الخمر العتيقة.
١٢- تَضْمير - تعريف sweatiny: جعل فرس السباق يعرق كثيراً، وهي وسيلة من وسائل تهيئة الخيل لدخول حلبات السباق.
١٣- الغائل: اللحم على خربة الورك، وقيل: الغائل: عرق في الفخذ. الصحاح، مادة (غيل).

- Summerhys. R.S. Revised by: Daphne Machin Goodall).1979. The Obsrver's Book of Horses and Ponies. Reprinted 1979. Printed in Great Britain by William Clowes & Sons Limited. Beccles and London. Frederick Warne & Co. Ltd. London. p.p.33- 35.
- Hearne. Tina. 1980. The Observer's Book of Pets. Reprinted 1980. Printed and bound in Great Britain by William Clowes (Beccles) Limited Beccles and London. Frederick Warne & Co. Ltd. p.p. 108-129.
- Edwards H.E. 1979. The Hamlyn Guide to Horses and ponies of the world. Cased edition. The Hamlyn Publishiny Group Limited. London. p.16.
- Geddes Candida. The Horse. (The Complete Book of Horses and Horsemanship). Octopus.
- Peter Churchill et .al. 1980. The Complete Book of the horse.First published. United Kingdom. P. 20. (The Hamlyn Publishiny Group Limited Enyland).
- الدكتور وردة، محمد فاضل، ١٩٨٨م، الحصان العربي، مجلة المهندس الزراعي العربي، دمشق، العدد (٢١) - ص ٩٠-٩٥.
- الدكتور القيسي، نوري حمودي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الفروسية في الشعر الجاهلي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ص ١٥٥-٢٠٥.

القزمة في العالم): سلالة الخيل العربية هي أقدم سلالات الخيل وأنقاها وأصفاها على الإطلاق، وقد رُسم ووصف النموذج الخيلي العربي المميز المعترف به وبأصالته على أشجار النسب المصرية الباقية للعرب. والحصان العربي حصان مميز تماماً: فهو الحصان النقي السلالة، والأعلى درجةً ونوعاً، والأسمى منزلةً بين الخيول، والأكثر امتيازاً بجماله العظيم. يتميز هذا الحصان بأداء مرح مبهج، ورأس مرفوع، وذيل منتصب للأعلى، بحيث يشبه هذا الذيل الراية المرفوعة. أما رأس هذا الحيوان، فهو رأس بارز من حيث جماله الرائع؛ فوجهه مقعر، وجبهته (جبينه) عريضة وواسعة، وعيونه كبيرة جداً وبارزة، وخطمه صغير، ومنخراه كبيران واسعان، بحيث إنهما يتسعان تدريجياً نحو الخارج كالقمع أو البوق. أما أذناه فصغيرتان وحذرتان تماماً. ويكون شعر العرف والذيل - من حيث البنية أو التركيب - حريرياً ناعماً على نحو رائع ولافت للنظر.

ويقول سمرهايز ر. س. R.S.Summerhays مؤلف كتاب (الخيول والخيول القزمة): تُعد الخيول العربية - من بين جميع سلالات الخيل في العالم- إحدى السلالات الأقدم والأكثر جمالاً وبهاءً ووسامةً؛ فهي خيول تمتلك خصائص ومزايا استثنائية ونادرة ذكرنا بعضها من قبل وفي واقع الأمر، فإن الحصان العربي هو الحصان النموذج المجسَّد جداً لسلالة الخيول أو عرقها؛ فهو حصان مميز وبارز وذو شهرة في كل مكان في العالم. إنه الحصان الملائم لكل أغراض الحياة واستخداماتها، وبخاصة الأغراض العسكرية منها. وعليه، يمكن القول: إن الخيل العربية بما امتلكته من مزايا تُعدّ من أفضل سلالات الخيول العالمية؛ إذ هي سلالة نقية صافية، وخيول صريحة النسب، كريمة الأصل.

ولعلنا بهذا القدر من اعترافات خبراء الخيل وعلمائها في الغرب وشهاداتهم نكون قد أوفينا، بل كرَّمنا خيولنا العربية التي تُعدّ جزءاً من تراثنا العربي والاسلامي المجيد الخالد.

- فنون الأدب العربي (الوصف)، اشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية، الفن الغنائي (٣)، دار المعارف بمصر، من دون تاريخ.
- الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي الغسّاني (٧٠٦-٧٦٤هـ)، الاقوال الكافية والفصول الشافية «في الخيل»، تحقيق: الاستاذ الدكتور يحيى وهيب الجبوري، الطبعة الاولى (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، ص ١٢١-١٣٩.
- كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي تيم قريش، المتوفى سنة تسع ومئتين هجرية بالبصرة، رواية ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني عنه، رواية ابي يوسف الاصبهاني عنه، طبع بإعانة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة العلية الهندية، الطبعة الثانية بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدَّكن - الهند، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
- الخيل والفروسية، الجزء الأول، تأليف: م. ي. أنسمنجر، ترجمة: الدكتور نجيب توفيق غزال، ١٩٨٣م، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية العراقية، ص٢٠١-٢٠٥.
- الأرضروملي، قدري، الخيل العِرَاب وفضلها على الأنسال العالمية، ص٣٧-٦٢، من دون تاريخ.
- الطيبي، عكاشة عبدالمنان، ١٤١٩-١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، قصص الطير والحيوان في الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ١٤-٢٠.
- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها لابن الكلبي، تحقيق: المرحوم أحمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م، وزارة الثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الحَلْبَة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام للصاحبي التاجي المتوفى بعد سنة ٦٩٧هـ، د. حاتم صالح الضامن، فرزة من: مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الاول، المجلد الرابع والثلاثون، ربيع الاول ١٤٠٣هـ/ كانون الثاني ١٩٨٣م، المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- الضامن، حاتم صالح، فائت الحَلْبَة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، فرزة من: مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد الرابع والثلاثون، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ذو الحجة ١٤٠٣هـ / تشرين الأول ١٩٨٣م.
- سبانو، محمد غسان، الحصان العربي وخيول العالم، الناشر: نادي برس - لندن - جنيف، التوزيع في العالم العربي: دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة، ص ١٩٢-١٩٥.
- الدكتور جمعة، حسين، مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية، الطبعة الأولى، دانية للطباعة والنشر، دمشق - بيروت، ١٩٩٠م، ص٩٣ وما بعدها.



الأمير خالد الفيصل يرعى افتتاح مهرجان عكاظ



تبرّع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز -ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام- بمليوني ريال لدعم جوائز مسابقات سوق عكاظ التاريخي. صرّح بذلك صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة خلال رعايته، نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وبحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز الأمين العام للهيئة العامة للسياحة والآثار، افتتاح الدورة الثانية لمهرجان سوق عكاظ التاريخي الثقافي في يوم الثلاثاء ١٩ شعبان الماضي (٢٠ أغسطس/ آب ٢٠٠٨م) بمحافظة الطائف. وقد أشار سموه إلى أن الجائزة أصبحت ٤٠٠ ألف ريال بدلاً من ١٠٠ ألف ريال.

وقد ألقى الأمين العام لسوق عكاظ التاريخي الدكتور جريدي المنصوري كلمةً رحّب فيها براعي الحفل والحضور، وقال: نجتمع مرة أخرى في هذا الموقع التاريخي؛ ليعود السوق بعد انقطاع دام ١٣ قرناً في المكان نفسه والمعالم الباقية. وتطرّق إلى العبارة التي أطلقها سمو أمير منطقة مكة المكرمة عن (مشروع القرن مدينة عكاظ.. مدينة المستقبل)، في ظل ما توليه حكومة خادم الحرمين الشريفين من اهتمام بالجانب الثقافي والأدبي والتاريخي.

وألقى الفائز بجائزة شاعر سوق عكاظ الشاعر محمد التهامي قصيدة بالعربية الفصحى بعنوان (قد تحقق الحلم). وتم عرض ملحمة (سوق عكاظ) من ألحان الدكتور عبدالله رشاد، وإخراج فيصل يماني، وأداء نخبة من الفنانين السعوديين والخليجيين والعرب. وفي أثناء العرض أعلن سمو أمير منطقة مكة المكرمة بدء فعاليات سوق عكاظ التاريخي الثقافي لهذا العام. ويشتمل السوق على مقر للمعارض المختلفة، منها: معرض التراث، ومعرض الهيئة العامة للسياحة والآثار، ومعرض دارة الملك عبدالعزيز، ومعرض جامعة الملك عبدالعزيز، ومعرض مهرجان التراث والثقافة بالحرس الوطني، ومعرض جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية، ومعرض جامعة الطائف، ومعرض أصحاب الحرف اليدوية من الرجال والنساء. ويضم السوق أيضاً عدداً من الخيام، منها: خيمة النابغة الذبياني، وخيمة الخنساء، وخيمة عكاظ للتصوير الفوتوغرافي لرسوم الكاريكاتير والصور الفوتوغرافية.

وتوجد في السوق عرائش العنب، ومنطقة للمأكولات والمشروبات الشعبية، والأشجار الطارحة، التي يعرض معها الموروث من الأهازيج التي كان يشدو بها الباعة للترغيب في بضاعتهم، وسوق المهن والحرف الرجالية، الذي يشمل تقطير الورد، وغزل الصوف، وتطريز الفرو، والصباغة، والمشغولات الفضية، وصناعة الأسلحة؛ مثل: الرماح، والخناجر، والسيوف، والخرازة، ومناحل العسل، وصناعة الفخار، وصناعة السعف، ودباغة الجلود، وغيرها.

تكريم الفائزين بجائزة المفتاحة

رعى أمير منطقة عسير الأمير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز مساء يوم ٢٢ شعبان الماضي (٢٣ أغسطس/ آب ٢٠٠٨م) حفل جائزة المفتاحة، واختتام فعاليات مهرجان أبها ١٤٢٩هـ، على مسرح المفتاحة بمدينة أبها بحضور وزير التعليم العالي الدكتورخالد العنقري وعدد من المسؤولين.

وشمل الحفل تكريم عدد من الرموز والجهات الحكومية والمؤسسات التي أسهمت في دعم مسيرة النماء، فتم تكريم مؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية، ووزارة التعليم العالي، والدكتور ناصر الرشيد، والدكتورة سامية العمودي، وقناة العربية، وصحيفة الاقتصادية، ونادي الاتحاد، والممثل الكوميدي فائز المالكي، ولاعب نادي الاتحاد محمد نور.



وبعد التكريم شارك عدد من الشعراء المميزين بقصائد، وقدّم الطفل اليمني فتحي أحمد محمد لفت قصيدتين، تحدث في الأولى عن العلاقات الوطيدة بين المملكة واليمن، وقصيدة أخرى عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وقدّمت الفرق الشعبية لوحات من الموروث الشعبي في منطقة عسير، وكان الختام بأوبريت غنائي بعنوان (موطن العز) للفنان حسين العلي.

حنا مينا يكتب وصيته

أعلن الروائي السوري حنا مينا وصيّته عبر الصحف السورية الرسمية بعد أن بلغ من العمر ٨٤ عاماً. وقد طلب في وصيّته ألا يُذاع خبر وفاته في أي وسيلة إعلامية، وأن يحمل نعشه أربعة موظفين من دائرة دفن الموتى من دون أحد من معارفه، وأن يذهب الجميع إلى بيوتهم بعد إهالة التراب على جثمانه ونفض أيديهم. وطلب ألا تُقام له أي تعزية أو تأبين، مسوّغًا ذلك بأن الذي سيُقال بعد موته سمعه في حياته، وقال: إن التأبين عادة منكرة منفرة مسيئة إليه.

وختم الروائي السوري وصيّته بترك حرية التصرف فيما يتركه من إرث إلى (مَن يدّعون أنهم أهلي)، ما عدا منزله في مدينة اللاذقية الذي أوصى به لزوجته مريم دميان سمعان طوال حياتها.

يُذكر أن حنا مينا ولد في اللاذقية في عام ١٩٢٤م، ونشأ في أسرة فقيرة، وعمل في بداية حياته حلاقًا، ثم حمالاً في ميناء اللاذقية، ثم بحّاراً، إضافةً إلى أعمال أخرى شبيهة، قبل أن يصبح كاتب مسلسلات إذاعية، ثم روائياً في الأربعين من عمره، حتى أصبح رئيساً لتحرير صحيفة (الإنشاء) في دمشق.



وفاة شاعر القضية الفلسطينية محمود درويش

توفي الشاعر الفلسطيني محمود درويش في يوم ٨ شعبان الماضي (٩ أغسطس ٢٠٠٨م) في مستشفى (ميموريال هرمان تكساس ميديكال سنتر) في ولاية تكساس في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أجرى عملية جراحية في القلب لتوسيع أحد شرايينه. وقد أعلن عن نجاح العملية في وقت سابق. وتعدّ هذه العملية هي الثالثة التي خضع لها الشاعر، كانت الأولى في عام ١٩٨٤م، والثانية في عام ١٩٩٨م.

وُلد محمود درويش في بلدة البروة في عام ١٩٤١م، قبل أن يدمرها الاحتلال الإسرائيلي بالكامل في عام ١٩٤٩م، وتحلّ محلها قرية أحيهود. عاش درويش مدة قصيرة في قرية دير الأسد في الجليل، قبل استقراره في قرية الجديدة المجاورة لقريته البروة. ثم تنقّل درويش بين قرى الجليل حيث تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي،



واستقر في شبابه في مدينة حيفا. انضم في بداية حياته السياسية إلى الأحزاب الشيوعية الإسرائيلية عام ١٩٦١م، ولم يمنح الجنسية الإسرائيلية؛ لعدم وجوده في فلسطين في وقت أول إحصاء للعرب، ومُنح بطاقة هوية، وتعرّض للسجن عدة مرات. وبعد منعه من الدراسات العليا في إسرائيل درس الاقتصاد السياسي في موسكو عام ١٩٧٠م، وبعدها عمل في صحيفة الأهرام المصرية عام ١٩٧١م، والتحق بعدها بمنظمة التحرير الفلسطينية، ومُنع من العودة إلى إسرائيل، وعاش في بيروت في المدة من ١٩٧٣ إلى ١٩٨٢م، وعمل رئيساً لتحرير مجلة (شؤون فلسطينية)، وبعدها عاش منفياً في باريس في المدة بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩٥م، بعد أن تنقّل بين عواصم عربية وأجنبية كثيرة، ثم استقر في رام الله في عام ١٩٩٦م.

صدر له كثير من الدواوين الشعرية على امتداد خمسة عقود، أوقفها على المقاومة والثورة، وغنّى بعض قصائده الفنان اللبناني مارسيل خليفة، منها: (أحنّ إلى خبز أمي)، و(ريتا)، وغيرهما. ومن دواوينه: (أوراق الزيتون)، و(عاشق من فلسطين)، و(ذاكرة للنسيان)، و(لماذا تركت الحصان وحيداً؟)، و(جدارية)، و(سرير الغريبة)، و(حالة حصار)، و(أحبك أو لا أحبك)، و(الكتابة على ضوء البندقية)، و(العصافير تموت في الجليل)، و(يوميات جرح فلسطيني)، و(عابرون في كلام عابر).

وقد صدرت له الأعمال الشعرية الكاملة عام ١٩٧٣م عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وترجمت قصائده إلى عدد من اللغات العالمية، من أبرزها: الفرنسية، والإنجليزية، والعبرية.

كتب محمود درويش وثيقة إعلان استقلال دولة فلسطين، وعاصمتها القدس، في عام ١٩٨٨م، ودُعمت الوثيقة من ١٠٥ دول، وتم على إثرها توزيع ما يقارب ٧٠ سفيراً فلسطينياً حول العالم، وقد استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية احتجاجاً على اتفاق أوسلو في عام ١٩٩٣م.

وحصل درويش على كثير من الجوائز العالمية، من أهمها: جائزة لوتس في عام ١٩٦٩م، وجائزة البحر المتوسط في عام ١٩٨٠م، ودرع الثورة الفلسطينية في عام ١٩٨١م، ولوحة أوربا للشعر

في عام ١٩٨١م، وجائزة ابن سينا من الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٨٢م، وجائزة لينين في عام ١٩٨٣م، وجائزة ٧ نوفمبر التونسية، وقد تسلّمها من الرئيس التونسي زين العابدين بن علي، وجائزة (الأركانة) العالمية للشعر في دورتها الثالثة ٢٠٠٨م، التي يمنحها بيت الشعر في المغرب، وكان من المقرّر أن يتسلّمها الشاعر الفقيد في أكتوبر القادم.

يُذكر أن معرض الإسكندرية للكتاب في دورته هذا العام كرّم الشاعر الراحل بحضور عدد كبير من كبار المسؤولين والأدباء والمثقفين والإعلاميين. وتبحث الهيئة المنظمة إمكانية طباعة أعمال الشاعر محمود درويش، مع مراعاة حقوق الملكية الفكرية، فضلاً عن أنه تمت إضافة فقرة بعنوان (قراءات شعرية من قصائد محمود درويش) في برنامج الأمسيات الشعرية.

مسابقة معرض منتدى الفنانين الشباب

تنظّم وكالة وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية مسابقة (معرض منتدى الفنانين الشباب في الفنون التشكيلية) تحت ٣٥ سنة. وقد أوضح وكيل الوزارة الدكتور عبدالعزيز السبيل أن المعرض يهدف في دورته الأولى إلى تشجيع الفنانين والفنانات الشباب على الإبداع والابتكار، واستقطابهم من جميع مناطق المملكة، وتوفير جوّ تنافسي بينهم لتبادل الخبرات والتجارب الفنية، واكتشاف مواهب جديدة لتكوين مجموعة مؤهّلة من الفنانين الشباب تقود الحركة التشكيلية السعودية مستقبلاً. ومن شروط المسابقة:

- أن يكون المشارك سعودي الجنسية تحت سن ٣٥ سنة.
- للفنان حرية اختيار موضوع عمله.
- الاشتراك بثلاثة أعمال فنية بحدّ أقصى.
- يجب أن تكون الأعمال المشاركة جديدة، وتم تنفيذها خلال العامين الماضيين.
- ألا تكون الأعمال المشاركة سبق حصولها على جوائز.
- أن يتوافر في الأعمال المحافظة على العادات والتقاليد بالمملكة.
- ترسل صور ملونة لكل لوحة فنية، ولكل مجسم ترسل صور من زوايا مختلفة بمقاس لا يقل عن ١٠×١٥سم.
- يُكتب على ظهر الصورة اسم الفنان، وسنة الإنتاج، والتقنية المستعملة في العمل، والخامة، ومقاسات العمل، وعنوانه.
- يمكن المشاركة في مجالات الفنون التشكيلية، وهي: الرسم، والتصوير التشكيلي، والنحت التشكيلي، والخزف، والطباعة، والحفر، والجرافيك، والباتيك، والأعمال المركبة في الفراغ.
- لا تُقبل الأعمال الفنية المعالجة رقمياً.
- مقاسات اللوحات التشكيلية لا يتعدى أكبر ضلع فيها ١,٥ متر.
- آخر موعد لتسلّم صور الأعمال الفنية مع استمارة المشاركة هو آخر شهر شوال ١٤٢٩هـ.
- سوف تقوم لجنة مكوّنة من عدد من الأساتذة بتحكيم الأعمال، وتحديد ما يرتقي منها للمشاركة في المعرض.
- سوف يتم إبلاغ الفنانين المرشحين للمشاركة في المعرض برسالة جوال نصية، أو رسالة بريد إلكترونية باسم العمل الفني الذي تم اختياره للمشاركة، ووقت التسليم.
- ستقوم الوزارة باستضافة الفنانين الفائزين بجوائز اقتناء لحضور حفل الافتتاح وفعاليات المعرض بالرياض، وتوثيق اللوحات الفائزة في مطبوعات المعرض.
- تُعاد جميع الأعمال الفنية إلى أصحابها بعد المعرض، عدا الأعمال المقتناة.





طواحين الهواء الهولندية

تدور مع الزمن!

حسين حسن حسين

تصوير: الوليد دينار

قسم التحرير

هولندا بلد لا تملك إلا أن تحبه، وتحب أهله؛ فالخضرة تكسو أراضيها، التي تبدو كبساط، وترتع في مزارعها الأبقار الفريزيان ذات الشكل الجميل الدالّ على النعمة. كما تبهرك الخيول بحيويتها، وبما تبدو عليه من أناقة تدلّ على ما تجده من اهتمام، حتى البغال (السيسي) تبدو أنيقة ومختلفة عن تلك التي تكون قد شاهدتها في أي مكان آخر.

عندما توقف بنا القطار القادم من كولون الألمانية في أمستردام كنتُ توّاقاً إلى أن أرى العاصمة التي عرفتها من خلال الأفلام التوثيقية والروائية والمشاهد التلفازية. ولكن المعايشة غير المشاهدة من بُعد، وبدا لي ذلك واضحاً من خلال رؤية الناس وهم يمضون مسرعين في جدّ، كلّ في اتجاهه، وبدت الفخامة التي تكسو مبنى المحطة دالة على الذوق الفني البديع لهذا الشعب، الذي قدّم إلى العالم فنانين تركوا بصماتهم في خريطة الفن الإنساني، من أمثال: فان جوخ، ورامبرانت، وكيز فان دونجن. وأول ما يدهشك وأنت تطلّ برأسك خارج محطة أمستردام العدد الهائل للدراجات، ودرجة تنظيمها في المواقف الخاصة بها، كما أن الزحام الشديد في محيطها لم يمنع أن يكون هناك تنظيم دقيق؛ فقائدو السيارات والمارة وراكبو الدراجات يعزفون سيمفونية شديدة الروعة، جميلة الإيقاع، فلا أحد يتعدى على حق الآخر، والحديث بينهم لا صياح فيه، ولا همس، وإنما هناك لغة العيون، وكم أحرجتنا تلك اللغة كلما تعدّينا على مسار الدراجات، أو تخطّينا الطريق من غير أماكن عبور المشاة.

كان همّي أن أرى أشياء محددة في هولندا، من بينها الزهور التي اشتهرت بها، وطواحين الهواء، ومتحف مدام توسو، وقد نشرت الفيصل موضوعاً عن نسخته اللندنية، أو فلنقل: الأصل.

أما الزهور، فقد تناثرت في كل مكان، خصوصاً حول تلك القنوات المائية، التي تخترق المدينة، وتجدها تقريباً في كل شوارعها، حتى يكاد المرء يُصاب بالحيرة، بل إن للزهور معامل للتهجين، وإنتاج ألوان مختلطة. وقد استمتعت أنا ومرافقي بمتحف توسو، والتقطنا صوراً تذكارية مع ألمع النجوم في السياسة والفن والرياضة والإعلام، حتى إنه لا يمكن تصديق أن هذه الشخصيات ليست سوى شمع أبدعته يد الفنان. وكان وقوع المتحف في وسط المدينة سبباً في أن يتحقق هدفنا بسهولة ويُسر، مع أن التذكرة بدت لنا عالية الثمن، فقيمتها ٢٠ يورو (١٢٠ ريالاً).

وعندما أردنا طواحين الهواء وجدنا أن بعض العرب المقيمين هناك اندهشوا من إصرارنا على مشاهدتها على الطبيعة، فمنهم من قال: إنه يقيم منذ عشرين عاماً ولم يخطر على باله يوماً أن يرى هذه الطواحين.

إلى زانس شانس

كان علينا أن نستقلّ قطاراً لبلوغ هدفنا في زاندم، التي تقع شمال هولندا، ولا تبعد كثيراً عن أمستردام.

ما أجمل وأسهل أن تركب قطاراً لأي وجهة، فما عليك إلا أن



عجوزان يديران متحفاً للمقتنيات التقليدية



الطبيعة الخلابة سمة قرية الطواحين

تعرف اسم المحطة ليتيسّر لك كل شيء؛ فالرصيف الذي سيكون عليه القطار وموعده ستجدهما على اللوحة الإلكترونية من دون الحاجة إلى دليل. وإذا أخذتك الحيرة فما عليك إلا أن تسأل مركز المعلومات الذي يقابلك موظفوه بحفاوة؛ ليدلّوك على ما تريد باستفاضة قد لا تكون في حاجة إليها، ولكنه القيام بالمسؤولية على أكمل وجه، من دون تجهّم، أو الانشغال بقضم ساندوتش، أو الحديث في الهاتف، ولا يمكن أن تصدق أنه لا أحد يستخدم هاتفه الخاص في أثناء الدوام: فالموظف يجلس في حالة تأهب لاستقبال المستفسرين حتى لو لم يكن هناك أحد.

أخذنا القطار، وبعد نحو عشرين دقيقة كنا في المحطة، وعندما استفسرنا من أحد الركاب أوضح لنا أن علينا السير على الأقدام نحو سبع دقائق لبلوغ المرسى، الذي سنستقل منه عبّارة لنكون في قرية زانس شانس التي توجد فيها الطواحين. هذا التحديد الدقيق للوقت يجعلك تتحيّر في هؤلاء الذين يقيسون كل عمل يقومون به بالوقت، ويصيبون في تقديرهم على نحو يدعو إلى العجب.

بعد مسيرة الدقائق التي حُدّدت لنا وصلنا إلى محلّ فيه سيدة ذات ملامح ريفية، بدت لنا مرحة، وذواقة للنكتة، بل صانعة لها بتلقائية، ويختصّ محلها الذي تعلوه طواحين الهواء ببيع التحف والأنتيكات، وبعضها قديم، وهي تبدي حرصاً على شرح قيمة كل شيء لديها، مؤمّلة في البيع. وكان الحذاء الهولندي الخشبي الشهير هو ما لفت نظر مرافقي، الذي استطاع أن يصل معها إلى سعر مقبول، وهو ١٥ يورو، ولكن الاتفاق شيء، والتنفيذ شيء آخر. وعندما رأت المرأة تردُّدنا اقترحت أن نأخذ جولتنا، وإذا كانت الرغبة في شراء ما أشرنا إليه واخترناه لا تزال موجودة فيمكننا طرق نافذة منزلها الملاصق للمحل إذا وجدناه مغلقاً، ودقت على النافذة بالطريقة التي تجعلها تسمع طرقنا. شكرنا لها هذا الاقتراح وودّعناها على أمل اللقاء، وهو بالتأكيد لم يتم؛ لأن أشياء أخرى شغلتنا، ولم يكن هناك وقت بعد انتهاء

الجولة، التي نالنا التعب بعدها.

عندما وصلنا إلى المرسى كانت العبّارة قد بدأت في التحرُّك، وتخيَّلت نفسي في إحدى الدول العربية؛ إذ يمكن أن نشير إلى قائدها بإلحاح ليعود، ويمكن أن يستجيب حتى من دون إلحاح، وقد يؤمل في مال قليل أو كثير من أجل هذا التجاوز، على حساب من جاؤوا في الوقت المحدد.

بدا المرسى خالياً إلا من أسرة صغيرة يتَّضح من ملامحها أنهم سياح، ثم جاء فوج ياباني، وبعد ذلك جاءت مجموعة من الفتيات على دراجات، أخذن أماكنهن بطريقة منظّمة، ثم جاء آخرون بالدراجات، وأخذوا أماكنهم خلف الفتيات، ولم تمضِ غير دقائق حتى كانت العبارة أمامنا، فوقف رفقاؤنا في صف منتظم، متيحين الفرصة للخارجين، ومنهم من يقود دراجة، فكانت حركة الخروج

فلاحتان هولنديتان





الأحذية الخشبية تراث يتجدد

يعود تاريخ تشغيل أول طاحونة هوائية إلى القرن الأول الميلادي، ويقال: إنها أول آلة استخدمت لتوليد الطاقة في التاريخ

والدخول لوحة جمالية تعكس احترام النظام، الذي يجعل كل واحد يشعر براحة كبيرة؛ فلا تزاحم يزعج، ولا التحام يدعو إلى التأفف، ولا أصوات تعكر صفو الرحلة، كل شيء يمضي بيسر وسهولة، وهذا الجو يتيح للإنسان فرصة المشاهدة والتأمل.

كان النهر هادئاً، وقد ازدان بالطيور التي شكّلت لوحة بيضاء، والبواخر السياحية تمخر في عرضه، والطواحين تواصل رحلة السنين. وعندما وصلنا إلى الشاطئ الآخر بعد دقائق، بدت زانس شانس قرية وادعة تتكون من بيوت خشبية بديعة التصميم، وهي مُحاطة بالخضرة من كل الجهات، وتزيدها الستائر البيضاء جمالاً على جمالها.

كانت محطتنا الأولى مع عجوزين في محل تحف جمع كل تراث الريف الهولندي، وأماكن هولندا السياحية، وكان تقديرنا أن عُمرَيْهما لا يقلان عن ٨٥ عاماً، ومع ذلك تبدو المرأة نشيطة، وإن كان الرجل قد بدا ثقيل السمع. لم تتردّد المرأة لحظة وهي تحدثنا عن أسعار مقتنياتها، ولم تتذمر لحظة، وإنما كانت تجيب عن أسئلتنا بكل أريحية. كان المحل بصاحبيه صفحات من الأرشيف، وقالت لي المرأة: إنها ظلّت تجمع في هذه المقتنيات على مدى أكثر من ٣٥ عاماً، وهي تحدد قيمة كل واحد منها، وقد جمعتها من المزادات، وممن لديهم الرغبة في التخلي عن أشيائهم القديمة، ومنها أدوات الطبخ، والزراعة، والزينة، إلى جانب اللوحات الفنية، والصور التعبيرية. وبالطبع، فإن طواحين الهواء هي سيدة الموقف؛ لتوافرها في صور شتى. وهما محقّان في ذلك؛ فالسائحون ما قدموا إلى هذه المنطقة إلا لرؤية تلك الطواحين، والوقوف على أسرارها. ويتيح المتحف استخدام البطاقات البنكية؛ مما يدل على أن العجوزين يواكبان التقدم.

وتتمدد أمامنا الأراضي الزراعية بخضرتها الطاغية، وأبقار الفريزيان ترعى فيها بكل أمان. وتقف الطواحين بشموخ، وهي تدور دورتها الأبدية من دون كلل أو ملل، شاهدةً على عصور



تمازج جمال الطبيعة مع أبهة العمارة وفخامتها

مضت، وأخرى ستأتي، وكلما اقتربت منها أفصحت عن أوجه الإبداع في صناعتها وحركتها. فما تاريخ مدينة الطواحين زاندام وقريتها زانس شانس؟ وما هذه الطواحين؟ وما قصتها؟

زاندام

يُطلق على زاندام ومنطقة نهر زان (زانستريك)، وكانت زاندام من أكثر المدن المزدهرة مع انطلاقة الثورة الصناعية، وقد اشتهرت بطحن الحبوب، وكان بها الآلاف من طواحين الهواء، كما اشتهرت بصيد الحيتان، وما يرتبط به من صناعة، كما عُرفت زاندام بأنها من أهم موانئ تصدير الخشب.

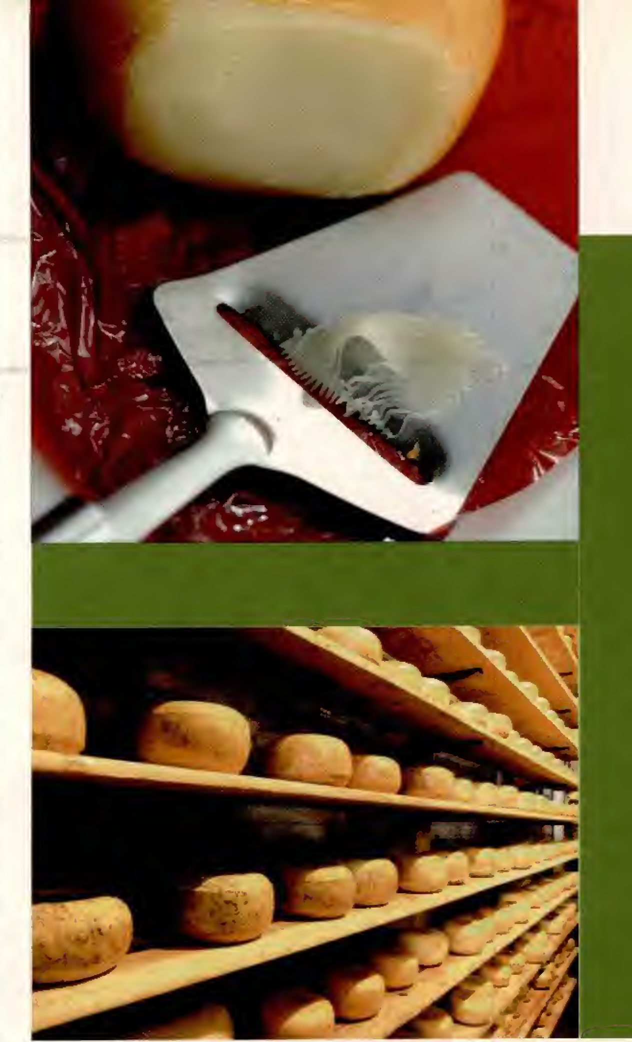
زانس شانس

زانس شانس Zaanse Schans قرية صغيرة جميلة تقع على نهر زان، وتتميز بمنازل خشبية ذات تصميم مميز، وحدائق غناء لها طابعها وأسباب جمالها، وجسور صغيرة محدودة، ومحلات لبيع التحف، وبقالات صغيرة، وطواحين الهواء التاريخية الشهيرة. النظرة الشاملة للقرية تعطي انطباعاً ساحراً عن حالها في القرنين السابع عشر والثامن عشر، إذ كانت تدور طواحينها ممثلة قمة التقدم في ذلك العصر، ومؤشراً لعصر صناعي مزدهر.

طواحين الهواء

هي هياكل تستخدم لتسخير طاقة الرياح، وظلّت على مرّ التاريخ

تنظر هولندا إلى الطواحين بوصفها آثاراً ينبغي المحافظة عليها؛ لذا تقدّم الملايين من اليورو لترميم الطواحين القديمة



الجبنة الهولندية لها مذاقها وصيتها

تُستخدم لأغراض مختلفة، مثل طحن القمح، ولكن اليوم تُوظَّف الطواحين -بشكل رئيس- لتوليد الكهرباء. وببساطة، فإن الطاحونة الهوائية آلة تعمل عن طريق قوة الرياح، وهي مُصمَّمة لتحويل الطاقة من طاقة حركية إلى أشكال أخرى من الطاقة بشكل مفيد واقتصادي، مثل الطاقة الكهربائية. ويتم ذلك عن طريق شفرات أو أشرعة هوائية تدور حسب سرعة الرياح. ولاعتمادها على الهواء فإنها توجد بكثرة على السواحل، وأيضاً بعيداً عن المدن؛ لصدور أصوات عالية جداً منها عند احتكاك شفراتها لتوليد الطاقة.

شيء من التاريخ

يعود تاريخ تشغيل أول طاحونة هوائية إلى القرن الأول الميلادي، ويقال: إنها أول آلة استخدمت لتوليد الطاقة في التاريخ.

وعرفت بسيستان في شرق بلاد فارس المحور الرأسي للطواحين أول مرة في القرن التاسع الميلادي، ووصفها الجغرافيون المسلمون.

أما المحور الأفقي لطواحين الهواء المستخدم إلى اليوم في أوربا، فقد تم اختراعه في شمال غرب أوربا في عام ١١٨٠م. وأخذت الطواحين ذات الأعمدة الرأسية في بلاد فارس شكلاً مستطيلاً وشفرات. ويُذكر أن طاحونةً من هذا النوع كانت موجودة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وكانت مصنوعة من ستة إلى اثني عشر شراعاً من الحصير والقماش، وكانت تستخدم لطحن الحبوب وعملية الري، وقد وجد مثيل لها في الصين في القرن الثالث عشر الميلادي.

وطواحين الهواء ذات المحور الأفقي هي طواحين ثابتة موجهة إلى الرياح، وتستخدم على نطاق واسع في جزر سيكلاديز في اليونان، وفي شمال غرب أوربا، فاستخدمت في الربع الأخير من القرن الثاني عشر في شمال فرنسا، وشرق إنجلترا، وفلاندرز. وقد استُبدل بطواحين الهواء عقب الثورة الصناعية المحركات البخارية، ومحركات الاحتراق الداخلي، ومحركات الديزل. أما التوربينات الهوائية أو مولدات الرياح الحديثة، فتستخدم في تحويل طاقة الرياح إلى طاقة كهربائية، وقد تصل قوتها إلى ٦ ميجاوات؛ مما يجعلها مفيدة في ظل تزايد القلق حول المشكلات البيئية وخطورة الاحتباس الحراري، إلى جانب كونها طاقة رخيصة ومتجددة.

وهناك أنواع من الطواحين الهوائية لضخ المياه من الآبار أو تجفيف الأراضي، وتوجد بصورة واسعة في جنوب إفريقية، وأستراليا، والولايات المتحدة، وكينيا.

طواحين هولندا

ترجع طواحين الهواء في هولندا إلى أكثر من ستمئة سنة، وقد احتفلت هولندا في العام الماضي بها، وسمَّت ذلك العام (عام الطواحين). وطواحين هولندا استخدمت في الأساس مضخَّات للرياح؛ بهدف تجفيف الأراضي واستصلاحها للزراعة؛ لوقوعها تحت مستوى سطح البحر. لذا، فإن اسم هولندا باللغة الإنجليزية هو Netherland، وتعني: الأرض المنخفضة. وقد طوَّرت شركة الهند الشرقية الهولندية الطواحين لنشر الأخشاب لبناء السفن، فكانت مصدراً أساسياً للثروة والازدهار الاقتصادي، وهذا ما جعل الهولنديين من أكثر الشعوب اعتزازاً بها؛ عرفاناً لفضلها وأثرها العميق في حياتهم.

وفي أوائل القرن العشرين، أنشئت جمعية (الطواحين


Heineken Bier
DHL
HOTEL
Hotel Bookings
Hotel Reservations

هولندا

- تقع هولندا في الشمال الغربي من قارة أوربا، وقسم كبير من أراضيها الداخلية ينخفض تحت مستوى سطح البحر؛ مما يهدِّد وجود هذه الدولة إن استمرت درجة حرارة الأرض في الارتفاع.
- تبلغ مساحتها ٤١٥٢٦كم٢، وتبلغ مساحة بحيراتها ٧٦٤٣كم٢، بينما تصل مساحة اليابسة إلى ٣٣٨٨٣كم٢.
- يبلغ عدد سكانها نحو ١٦ مليوناً ونصف المليون نسمة حسب إحصاءات عام ٢٠٠٥م، ويزداد عددهم سنوياً بسبب استقبال هولندا أعداداً كبيرة من المهاجرين.
- يدين أكثر من ٥٠٪ من الهولنديين بالنصرانية، و٤١٪ لا دينيين. وتبلغ نسبة المسلمين ٥,٥٪، والباقون من أديان أخرى. وهولندا خالية من الأمية تماماً.
- يعمل ٤٪ فقط من الهولنديين في الزراعة، و٢٣٪ في الصناعة، و٧٣٪ في قطاع الخدمات.
- الاعتماد الرئيس للاقتصاد الهولندي على التجارة الخارجية، وهي من أبرز الدول في الإنتاج الزراعي، ولديها فائض كبير من المحاصيل الزراعية، فتحتل المركز الثالث عالمياً بين الدول المصدّرة للمنتجات الزراعية بعد كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا.
- يتركز نشاطها الاقتصادي في الصناعات الغذائية، والكيماويات، وتكرير النفط، والآلات الكهربائية، وهي مركز مهم للنقل والمواصلات في القارة الأوربية.

الهولندية) بهدف الحفاظ على أنواعها، وقامت منذ عام ١٩٢٣م بجهود كبيرة؛ لتظل هذه الطواحين إرثاً تتوارثه الأجيال. وتقدَّر طواحين هولندا اليوم بنحو ١٠٥٠ طاحونة هوائية؛ منها نحو ٤٠٠ طاحونة لضخ المياه، والأخرى لطحن الحبوب ونشر الأخشاب وما أشبه ذلك، كما توجد نحو ١٠٠ طاحونة مائية. وقامت الجمعية خلال ٣٥ عاماً بتدريب نحو ألف متطوِّع؛ إذ يقوم بعضهم بتشغيل الطواحين لطحن الحبوب، بينما يقوم آخرون بالبيع في حوانيت صغيرة؛ مما يحقق بقاء الطواحين واستمراريتها في شكل واقعي.

وتنظر هولندا إلى الطواحين بوصفها آثاراً ينبغي المحافظة عليها؛ لذا تقدّم الملايين من اليورو لترميم الطواحين القديمة. ومع هذا تطالب جمعية الطواحين الهولندية بالمزيد، وترى أن الطواحين المصنوعة من الخشب لا تزال في حاجة إلى عناية كبيرة، وأموال أكثر. وفكرة عمل الطواحين بسيطة جداً؛ فعندما تحجز الشفرات الدوّارة أو الأشرعة الرياح في شكلها البسيط فإن قوة الرياح تدفعها إلى الحركة، ويقوم عمود موصّل بمركز دوران هذه الشفرات أو الأشرعة ومثبت في الأرض بتحويل الطاقة الناتجة من الدوران إلى المولد؛ ليقوم بتوليد الطاقة الكهربائية باستخدام الكهرومغناطيسية. ويحوي هيكل المحرك صندوق تروس يزيد سرعة العمود الذي بين مركز الدوران والمولد.

هولندا مصغرة

القرية على صغرها لا تشتمل فقط على الطواحين، وإنما تضم عدداً من المتاحف التي تتوافر على مقتنيات من التراث الهولندي. ولأن الجبن من أهم منتجات هولندا التي تفتخر بها، وتعتمد عليها في اقتصادها؛ فإن وجود مصنع للجبن بأنواعه المختلفة في هذه القرية لم يكن عجيباً. والعجب ذلك النشاط الكبير الذي تعمل به موظفات المصنع، ويبلغ عددهن نحو عشر موظفات. ويزداد العجب عندما تقع عين الإنسان على هذا الكم الكبير من أنواع الجبن. أما إذا حاول الزائر تذوّق هذه الأنواع، فإن العجب ألا يُصاب بالدهشة؛ فمذاق كل نوع يختلف عن الأنواع الأخرى، ومع هذا الاختلاف فإن طعم جميعها يبدو لذيذاً ومختلفاً عن أيّ نوع من الجبن يمكن أن تكون قد تناولته. والفرصة متاحة للجائع أن يأكل إلى حدّ الشبع من دون أن يضع يده في جيبه، ومَن أراد معرفة أدوات الصنع وخطواته فهناك مصنع صغير موجود في المدخل، وهو ينبئ عن اعتزاز بالماضي، وبمَن صنعوه وجعلوا لهولندا اسماً عالمياً في هذا المجال.

وفي محل يجمع بين القديم والجديد مصنع للأحذية الخشبية، تستطيع من خلاله الوقوف على بعض أسرار هذه الصناعة. وهناك اعتزاز واضح بهذا الحذاء الكبير الحجم، الذي يتعجب المرء كيف يمكن لبسه والتحرُّك به. كما أن الإشفاق يأتي في حال استخدامه لأغراض أخرى قد تطيح رقاباً، أو تسبِّب عاهة مستدامة. وقد أخذ الهولنديون يتفنَّنون في تلوين هذه الأحذية وزخرفتها، فأصبح بعضها يحمل معالم هولندا السياحية؛ كزهورها، وطواحينها، بل ضوئها الأحمر، وأعني ذلك الحي الذي يشتهر باجتذاب الباحثين عن المتع الحسية.

وأكثر ما يلفت الانتباه في زانس شانس التفنن في استخدام الألواح الخشبية في البناء والديكور. وعموماً، فإن القرية تستحق لقب «القرية الخشبية»؛ لأن استخدام الخشب وظيفياً وجمالياً يصل إلى حد الإعجاز، الذي يجعل المرء يدرك كم له من أهمية في حياتنا، وكم له من جمال وسحر.





قصة الكاتب الأمريكي: أو. هنري

ترجمة: فاضل كمال الدين

بابل - العراق

افترض أن عليك المشي إلى أسفل شارع «برودواي» بعد طعام العشاء، وأنك قد خصّصت عشر دقائق للانتهاء من سيجارك بينما أنت تُوازِن بين اختيارك تمثيلية مأساوية وأُخرى هزليّة. وفجأة توضع يد على ذراعك، ثم إنَّك تستدير لترى عينين مثيرتين لامرأة جميلة ومثيرة للإعجاب، وهي غارقة في الماس، وفي فرو السمور الروسي، ثم تقذف تلك المرأة بخفة إلى يدك كرة ساخنة جداً وهي تلتمع ومعها مقصان صغيران، ثم تقصّ الزر الثاني من معطفك، ثم هي ترميك بكلمة واحدة ذات مغزى، هي «يامتوازي الأضلاع»، وبعدها تهرب بنعومة نحو شارع متقاطع وهي تنظر من فوق كتفها إلى الوراء خائفةً.

هذه مغامرة بحتة، هل ستقبلها أنتَ؟ وأنا لستُ أقصدكَ أنتَ خاصة، فأنتَ سوف تغرق في ارتباك، وسوف تتخلّص من تلك الكُرَة بجبن، وسوف تستمر في مشيك إلى أسفل شارع «برودواي» وأنت تفتش بارتباك عن زرّ معطفك المفقود. هذا ما ستقوم به أنت، إلا إذا كنت أحد أولئك القليلين المباركين الذين لم تمت فيهم روح المغامرة الخالصة.

لم يكن المغامرون الحقيقيون كثيري العدد قط، هم أولئك الذين يرد ذكرهم في المطبوعات بأنهم من رجال الأعمال على الأغلب، الذين لديهم أساليب مبتكرة أو جديدة. هم الذين خرجوا يفتشون عن أشياء كانوا يرغبون فيها: أشياء ذهبية، أو أهداف مقدسة، أو مغامرات غرامية، أو كنوز، أو تيجان، أو شهرة. والمغامر الحقيقي هو الذي ينطلق إلى الأمام من دون هدف ومن دون أن يبالي بملاقاته القدر المجهول وترحيبه به. وكان من النماذج الجميلة على ذلك هو «ابن المسرف» عندما بدأ بالعودة إلى الوطن.

لكن كان هناك كثير من أنصاف المغامرين الذين كانوا شجعاناً ومشهورين، وكانوا قد أغنوا التاريخ والخيال وتجارة الروايات التاريخية، وكانت لكل واحد منهم مكافأة يريد أن يفوز بها، أو كانت له غاية يريد تحقيقها، أو كان له هدف شخصي يهتم به، أو أنه كان في مباراة، أو كان يسعى إلى شهرة يريد نيلها بالجهد المتواصل. وهكذا، هم لم يكونوا ساعين وراء مغامرة حقيقية.

وفي المدينة الكبيرة تسعى الروح الرومانتيكية وروح المغامرة، الروحان التوأمان، إلى من يتودد إليهما بجدارة. وعندما نجول في الشوارع هما تختلسان النظر إلينا، وتتحدانا بعشرين هيئة مختلفة. ومن دون أن نعرف السبب نرفع بصرنا فجأة لنرى في إحدى النوافذ وجهاً يبدو أنه ينتمي إلى مجموعتنا من وجوه الأشخاص الحميمين. وفي شارع نائم نسمع صرخة ألم شديد وخوف تأتي من منزل خالٍ ومغلق النوافذ.

كان «رودولف شتاينر» مغامراً حقيقياً. قليلة هي تلك الليالي التي لم يكن يخرج فيها من غرفة نومه باحثاً عما هو غير منتظر وفظيع. وكان يبدو له أن أمتع شيء في الحياة ربما يكون شيئاً قريباً منه جداً؛ أي في الركن التالي. وكانت تقوده أحياناً رغبته إلى مسالك غريبة. مرتين كان قد قضى الليل في مخفر الشرطة، ومن حين إلى آخر كان يجد نفسه موضع استغفال من قبل محتالين بارعين وجشعين، وكانت ساعته ونقوده هما الثمن

لإحدى محاولاته في الإغراء والتملق.

ولكن بحماس لا يلين كان «رودولف شتاينر» يقبل المبارزة ويعدها مغامرة مبهجة مثل سائر مغامراته.

وفي مساء أحد الأيام كان «رودولف» يتمشى في شارع متقاطع في الجزء المركزي القديم في المدينة، وكان هناك طابوران من الناس الذين كانوا يملؤون الرصيف: هم المسرعون في العودة إلى المنزل، وأولئك القلقون الذين يهجرون منازلهم طلباً لحصولهم على وجبة طعام كاملة.

وكان المغامر الشاب حاضر الذهن ويقظا في تحركاته. في النهار كان يعمل في وظيفة عامل مبيعات في مخزن لبيع البيانو، وكان رباط عنقة مثبتاً بحلقة من حجر «التوباز» الثمين بدلاً من الدبوس، ومنذ أن كتب لحساب إحدى المجلات كتابه: «جوني واختبار الحب» كان لذلك الكتاب أعظم الأثر في حياته.

وخلال سيره هناك كان يسمع ثرثرة عنيفة على الرصيف بدت كأنها قد لفتت انتباهه في البداية إلى أحد المطاعم، غير أنه لاحظ، عند التمعن، وجود كتابة كهربائية هي لافتة لطبيب أسنان ترتفع فوق الباب المجاور، وكان هناك زنجي عملاق ذو ملابس غريبة الشكل يرتدي سترة حمراء مزخرفة وبنطلوناً أصفر وقبعة عسكرية، وكان ذلك الزنجي يوزع بطاقات للحشد المار الذي كان يوافق على أخذها.

هذا الشكل من الإعلان عن أطباء الأسنان كان منظراً شائعاً بالنسبة إلى «رودولف». وكان «رودولف» في العادة يشاهد دائماً ذلك الموزّع لبطاقات طبيب الأسنان، وكان يتجاوزه، غير أنه في هذه الليلة دسّ ذلك الإفريقي بطاقة في يده بصورة ماهرة، حتى إنه أبقاها في يده وهو يبتسم قليلاً لعمله البطولي الناجح.

وعندما سار «رودولف» بضع ياردات أخرى نظر إلى البطاقة بلامبالاة. وعندما قلب البطاقة، ونظر فيها مرة أخرى باهتمام، اندهش عندما رأى أحد جانبيها فارغاً، بينما كتب في الجانب الآخر كلمتان بالحبر، هما: «الباب الأخضر». عند ذاك رأى «رودولف» على بُعد ثلاث خطوات منه رجلاً يرمي على الأرض البطاقة التي كان الزنجي قد أعطاها إياه عند مروره. التقط «رودولف» تلك البطاقة فوجدها مطبوعة وعليها اسم طبيب الأسنان وعنوانه مع جدول المعالجة العادي؛ أي: «صنع جسور للأسنان»، و«صنع تيجان صناعية للأسنان»، مع وعود بإجراء عمليات جراحية من دون ألم.

توقف بائع آلات البيانو المغامر عند ركن الشارع، وأخذ يتأمل، ثم عبر الشارع، وسار نحو صفّ من المباني، ثم عبر الشارع مرة أخرى، والتحق بطابور الناس من جديد. ومن دون أن يلاحظ الزنجي عند مروره في المرة الثانية أخذ «رودولف» بعدم اكتراث البطاقة التي أعطيت له. وعلى بعد عشر خطوات قام بفحص البطاقة. وبالخط نفسه الذي ظهرت به عبارة «الباب الأخضر» على البطاقة الأولى ظهرت هنا أيضاً. وكانت هناك ثلاث بطاقات أو أربع مرمية على الرصيف.

نادراً ما كان يحتاج شبح المغامرة إلى الإيماء مرتين لـ«رودولف شتاينر» ذلك التابع الصادق له، ولكن حصل الإيماء مرتين هنا، وسوف يستمر التنقيب.

سار «رودولف» عائداً ببطء إلى حيث كان الزنجي العملاق يقف إلى جانب صندوق الأسنان المجلجلة. وفي هذه المرة لم يتسلّم بطاقة عند مروره. وعلى الرغم من ملابسه المضحكة المبهرجة كان الزنجي يظهر وقاراً طبيعياً في وقفته وهو يعرض البطاقات بصورة مهذبة لبعض الناس تاركاً الآخرين يمرون دون إزعاج. وكلما انقضت نصف دقيقة كان الزنجي يغني مقطعاً غير مفهوم بصوت أجش شبيه ببربرة الموصّلات في السيارة وأغنية أوبرا مهيبة. وفي هذه المرة لم يسلّم الزنجي أية بطاقة لـ«رودولف» الذي تلقى من الزنجي، بدلاً من ذلك، ازدراءً واضحاً.

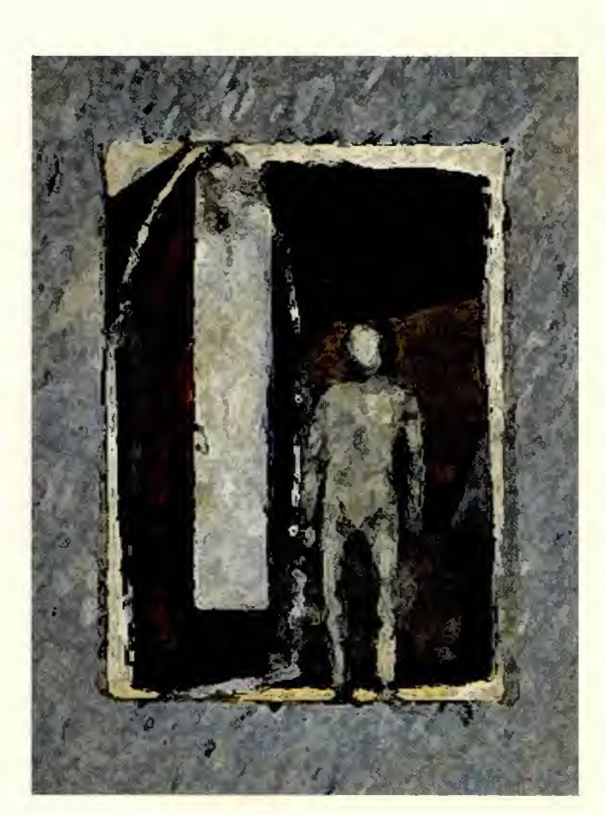
تلك النظرة الصادرة عن الزنجي لسعت المغامر «رودولف» الذي قرأ فيها اتهاماً صامتاً. ومهما يمكن أن تعني الكلمات الغامضة المكتوبة على البطاقات فكأن ذلك الزنجي قد اختار «رودولف» مرتين، من بين حشد الناس، لكي يتسلم تلك البطاقة. وقد بدا الآن «رودولف» لذلك الزنجي أنه يعوزه الذكاء والشجاعة لحل اللغز.

ابتعد «رودولف» عن طابور المارين المندفع، وأجرى تخميناً سريعاً للمبنى الذي اعتقد أن مغامرته ستحدث فيه. هناك خمسة طوابق في ذلك المبنى، وهناك مطعم صغير يحتل الجزء التحتي منه.

كان يبدو على الطابق الأول أنه يحتوي على مخازن لبيع قبعات نسائية وفرو. وكانت في الطابق الثاني، المحتوي على كلمات كهربائية وامضة، عيادة لطبيب أسنان. وفوق الطابق الثاني هناك لافتة كثيرة اللغات تكافح لتوضيح أماكن قارئ الكف ومقارّه، وخياطي الملابس، والموسيقيين، والأطباء. وفوق هذا الطابق كانت هناك ستائر الجوخ وقناني الحليب البيضاء على عتبات النوافذ.

بعد انتهاء «رودولف» من ذلك المسح صعد بخفة ونشاط الدرجات الحجرية نحو ذلك المبنى، واستمر في صعوده إلى طابقين بواسطة سلالم مفروشة بالسجاد، ثم توقف عند وصوله إلى الأعلى. كان الرواق هناك ضعيف الإنارة، وكان هناك مصباحان غازيان، فنظر «رودولف» نحو المصباح الأقرب، فرأى باباً أخضر ضمن هالة النور الباهت. وللحظة من الزمن، تردّد «رودولف»، ثم بدا له أنه يشهد ازدراء مهيناً من ذلك الإفريقي الذي كان يوزع البطاقات. سار «رودولف» مباشرة نحو الباب الأخضر وطرقه.

اللحظات الشبيهة بتلك اللحظات التي مرت عليه قبل الإجابة عن



طرقه للباب هي تلك اللحظات التي تحدث للمغامر الحقيقي وتتصف بسرعة التنفس، فماذا يمكن أن يكون خلف تلك الألواح الخضراء؟! أهم مقامرون يلعبون، أم محتالون أذكياء، أم امرأة جميلة تعشق الرجل الشجاع، وهي تخطط لأن يسعوا إليها؟ أو هناك خطر خلف تلك الألواح الخضراء أم موت أم حب أم خيبة؟ أي شيء من هذه الأشياء يمكن أن يحدث بعد الطرقة المتهورة على ذلك الباب؟

ثم كانت هناك خشخشة ضعيفة في الداخل، وفُتح الباب ببطء. ووقفت هناك فتاة لم تبلغ العشرين من العمر، وجهها أبيض، وهي تترنح، ثم أرخت مقبض الباب وتمايلت بوهن متلمسة طريقها بيد واحدة. أمسك بها «رودولف» وأضجعها على أريكة متلاشية كانت تتكئ على الجدار. وأغلق «رودولف» الباب وألقى نظرة سريعة على ما في الغرفة معتمداً على ضوء المصباح الغازي المضطرب. إن ما رآى هو النظافة وحسن الترتيب والفقر الشديد.

كانت الفتاة تضطجع بسكوت وكأنها في حالة إغماء. وأخذ «رودولف» يفتش في أرجاء الغرفة عن برميل وهو في حالة هياج، فمن الواجب دحرجة الشخص بواسطة برميل... كلا... كلا... ذلك أمر لازم للأشخاص الغرقى، فأخذ «رودولف» يهويها بقبعة، كان ذلك أمراً ناجحاً، ثم ضرب أنفها بحافة قبعة، ففتحت عينيها، ثم لاحظ أن وجه الفتاة كان هو الوجه الذي يفتقده حقاً من بين الوجوه الحبيبة إلى قلبه، فالعينان الرماديتان الإفرنجيتان، والأنف الصغير، والشعر الكستنائي اللون والمجعد مثل لوالب نبات البزاليا، بدت له هي النهاية الصحيحة، وهي المكافأة له على جميع مغامراته العجيبة. ولكن وجهها كان هزيلاً وشاحباً بصورة مأساوية.

نظرت الفتاة إلى «رودولف» بهدوء وابتسمت: «أصابني إغماء... أليس كذلك؟» سألت الفتاة بوهن، وأضافت: «حسناً... هل هناك أحد لا يصاب بإغماء إذا بقي ثلاثة أيام دون أن يأكل شيئاً؟!».

«هيم!!»، صاح «رودولف» وهو يثب، وأضاف: «انتظري ريثما أعود إليك».

اندفع «رودولف» بسرعة خارجاً من الباب الأخضر، ونزل السلالم. وفي غضون عشرين دقيقة عاد وأخذ يرفس الباب بمقدم حذائه لكي تفتحه له، وبكلتا ذراعيه كان يمسك مجموعة من السلع التي اشتراها من البقال ومن المطعم، ثم وضعها على الطاولة: خبز، وزبدة، ولحوم باردة، وكعك، وحلوى، ومخللات، ومحار، ودجاجة مشوية، وقنينة من الحليب، وشاي ساخن جداً.

قال «رودولف» وهو يتحدث بعنف:

«هذا شيء سخيف... أن يبقى المرء من دون طعام... عليك التوقف عن القيام بمراهنات اختيارية من هذا النوع... العشاء جاهز».

ثم ساعدها في الوصول إلى كرسي عند الطاولة وسألها:

«هل هناك قدح للشاي؟»

أجابته الفتاة:

«هو على الرف بجانب النافذة».

وعندما التفت مرة أخرى وبيده القدح رآها... رأى عينيها تلتمعان بطرب، وبدأت هي بالمخللات المتبلة التي انتزعتها من بين العلب الورقية بغريزة المرأة التي لا تخطئ. فأخذها منها ضاحكاً وملأ لها قدحاً من الحليب وأمرها قائلاً:

«اشربي هذا أولاً.. ثم تناولي بعد ذلك شيئاً من الشاي.. ثم جناح الدجاجة. وإذا كنت على مايرام غداً فسوف يمكنك تناول مخللات. والآن.. هل تسمحين لي بأن أكون ضيفك.. سوف نتعشى معاً».

سحب «رودولف» إليه الكرسي الثاني. وبعث الشاي الإشراق في عيني الفتاة، وأعاد إلى وجهها شيئاً من رونقه، وبدأت تأكل بنوع من الضراوة وكأنها حيوان متوحش وجائع. وكان يبدو عليها أنها عدّت وجود الشاب والمساعدة التي قدمها إليها كأنهما من الأمور الطبيعية، وكأنما هي لم تكن بذلك تقلل من أهمية الأعراف والتقاليد، ورأت أن الكرب العظيم الذي حاق بها قد أعطاها الحق في إهمال ما هو مصطنع، وتفضيل ما هو إنساني عليه. ولكن تدريجياً، بعد عودة القوة والراحة إليها، عاد إليها أيضاً الشعور بأهمية ما هو متعارف عليه بين الناس. وهكذا، بدأت هي تقص عليه قصتها البسيطة.

كانت تلك القصة واحدة من ألف قصة تحدث كل يوم في المدينة. هي قصة فتاة تعمل في حانوت بأجر غير كاف، وأدت إلى تخفيفها أكثر فأكثر الغرامات التي من شأنها تضخيم أرباح صاحب

الحانوت. ثم تعرضت الفتاة لفقدان مدة عمل بسبب المرض. وبعد ذلك فقدت وظائفها كلها، ففقدت أملها. ثم جاءت طرقة المغامر على الباب الأخضر.

ولكن «رودولف» رأى ذلك السرد التاريخي كبيراً كأنه «الإلياذة»، أو الأزمة في اختبار الحب حسب مفهوم «جوني».

«أنا أفكر فيك.. كيف تحملت كل ذلك؟»، قال هو بصوت مرتفع.

«كان شيئاً رهيباً»، قالت الفتاة بكآبة.

«أليس لك في المدينة أقارب أو أصدقاء؟».

«أبداً.. ومن أي نوع؟»، أجابت الفتاة.

«وأنا أيضاً وحيد تماماً في هذا العالم»، قال «رودولف» بعد برهة.

«أنا مسرورة لسماع ذلك»، قالت الفتاة بسرعة. ومما أدخل السرور على قلب الشاب سماعه رضاها عن حاله.

وفجأة سقط جفناها وتحسَّرت حسرة عميقة وقالت:

«أنا أشعر بنعاس كبير.. وأحس براحة عميقة». نهض «رودولف» ورفع قبعته وقال:

«أتمنى لك ليلة سعيدة. والنوم الطويل ليلاً سيكون مفيداً لك».

قدم يده فأخذتها وتمنت له ليلة سعيدة، ولكن في عينيها كان هناك سؤال بليغ وفصيح جداً وصريح جداً وحزين؛ مما دفعه إلى الإجابة عنه بالكلمات قائلاً:

«نعم.. سأعود غداً لأرى كيف ستكونين.. إنك لا تستطيعين التخلص مني بهذه السهولة».

ثم سألته عند الباب:

«كيف حدث أن طرقت بابي؟» نظر إليها لحظة من الزمن ثم تذكر البطاقات وشعر بألم حاد ومفاجئ، فماذا لو أن تلك البطاقات سقطت في أيدي آخرين مغامرين مثله؟ وسرعان ما قرر ضرورة عدم إطلاعها على الحقيقة.

قال لها «رودولف»:

«أحد زبائننا المختصين بالبيانو يسكن في هذا المنزل، وأنا طرقت بابك بطريق الخطأ».

وكان آخر شيء رآه في الغرفة قبل إغلاقه الباب الأخضر هو ابتسامتها.

وفي أعلى السلم توقف «رودولف» وألقى نظرة فضول على ما حوله، ثم سار على طول الرواق حتى طرفه الآخر، وبعد عودته صعد إلى الطابق الأعلى واستمر في استطلاعاته المحيرة. وكل باب وجده في ذلك المنزل كان مطلياً بلون أخضر.

اندهش «رودولف» عندما وجد نفسه قد نزل إلى رصيف الشارع. وكان الرجل الإفريقي الغريب المظهر لا يزال هناك، فواجهه «رودولف» بوضعه البطاقتين في يده وسأله:

«ألا تخبرني لماذا أعطيتني هاتين البطاقتين؟ وماذا تعنيان؟».

بابتسامة عريضة ودالة على الطيبة عرض الزنجي إعلاناً رائعاً بشأن مهنة سيده، وقال:

«هذه هي المسألة.. هو سيدي». وبعد أن أشار إلى الشارع قال:

«ولكني أظنك تأخرت قليلاً عن الفصل الأول من المسرحية».

وبعد أن نظر «رودولف» إلى المكان الذي أشار إليه الزنجي رأى فوق مدخل أحد المسارح لافتة كهربائية براقة تعلن عن مسرحية جديدة هي «الباب الأخضر».

قال الزنجي:

«ذكروا لي أن هذا العرض ممتاز ومن الطراز الأول، وقد أعطاني الوكيل دولاراً لكي أوزع عدداً قليلاً من بطاقاته مع بطاقات الدعاية لطبيب الأسنان التي أقوم بتوزيعها. هل أعطيك واحدة من بطاقات الطبيب؟».

وعند ركن صف المباني الذي كان «رودولف» يسكن في أحدها توقف «رودولف» ليأخذ كأساً من البيرة ولكي يدخن سيجاراً. وعندما خرج وفي فمه السيجار زرّر سترته ودفع إلى الخلف قبعته وصاح بصوت عنيف لعمود المصباح الكائن في الركن:

«مهما يكن من أمر فأنا أعتقد أن يد القدر هي التي مهدت الطريق أمامي لكي أعثر عليها».

ومهما يكن الاستنتاج هنا فمن المؤكد أن «رودولف» سوف يقبل في صفوف الأنصار الحقيقيين للرومانتيكية والمغامرة.

قصص قصيرة جداً

خيرية إبراهيم السقاف

الرياض - السعودية



نملة

يبدو وهي تسرع في اتجاه مكمنها أن ثمة عزماً على جديد.

شريحة صغيرة جداً من حبة لوز تقبض عليها في مقدمة فمها، وتشحذ خطوها.

لا تتعثر، كأنها في مهمة عسكرية.

باب مكمنها يطل بعينه الرملية عند حافة لباب البيت الكبير.

وقفت عن بُعد

حين رأتني

لم يكن في نيتي أن أسبقها في الوصول.

ولا كنت أحسب في نيتها أن تفعل.

حين دلفت داخل بيتي

شاهدتها تأخذ لباب بيتها اتجاهاً آخر، طويلاً بعض المسافة

لكنها وصلت بعد أن كنت قد بدلت ملابسي، وتهيأت لكوب الشاي

استعداداً للعودة لحراسة مدخل البنك

فالليلة عليّ أن أفعل.

* * *

حب

المدينة الكبيرة حين نظرت إليها بعين فرح لم تكن تتسع

في اليوم التالي وجدتها كما صحراء شاسعة

حتى الشمس لا تمنحها وجهها

حين تلمست صدري

كان قلبي قد غادر ليسير في الجنازة

عندما عدتُ من التأبين

المدينة كانت قد ابتُلِعَت

* * *

رهان

الصبي في حضن أحلامه

نسي وهو يستيقظ أن يغلق الباب جيداً وهو يغادرها

لما عاد إليها في المساء

أدرك أن الموسم لم يحرم أحلامه من هبوب الهواء

وأنها قد غادرت في معية الأشرعة

العددان ٣٨٧-٣٨٨ / رمضان-شوال ١٤٢٩هـ



الاحتراق النفسي
الأسباب والوقاية

محمد محمد عيسوي الفيومي
المحلة الكبرى - مصر



الثقافة النفسية ضرورة عصرية

تتسم الحياة العصرية بكثرة الأعباء الشخصية والأسرية والمجتمعية الملقاة على عاتق إنسان العصر؛ إذ تشكل ضغوطاً نفسية تكبل الإنسان، خصوصاً أن مساحة المرح في حياة الإنسان قد انكمشت بشكل ملحوظ، فأصبح الإنسان يعاني السأم والملل والتعب، والإرهاق العصبي، والاحتراق النفسي؛ لذلك ينبغي على الإنسان أن يحاط علماً بكل العوامل المؤدية إلى الاحتراق النفسي؛ حتى يتجنبها، ويؤدي واجبه الوظيفي على أحسن وجه، وأن يتمتع بالصحة النفسية، ويرتفع لديه الأداء، ويساهم في ركب التقدم الذي ينشده منه وطنه، فلم يعد التقدم العلمي في شتى المجالات المعرفية بمعزل عن علم النفس بميادينه المختلفة، النظرية والتطبيقية، ومن هنا أصبح من الضروري أن يتسلح الأفراد بقدر من الثقافة السيكولوجية ليعرف الفرد ماهية هذا العلم، وكيف يستفيد منه في فهم السلوك الإنساني، ودوافعه المختلفة، وكذلك فهم الشخصية الإنسانية ومكوناتها، وكيفية تنميتها وجدانياً وسلوكياً، وطرائق تحقيق الرضا النفسي والمهني، وعلاقة كل من ضغوط العمل ومناخه في المؤسسة، وأسباب الاحتراق النفسي لدى العاملين، إذ تسعى المجتمعات إلى تحقيق زيادة الإنتاج في الوقت نفسه الذي تسعى فيه إلى تحقيق الرضا النفسي والوظيفي؛ بهدف مساعدة الأفراد في تحقيق التوافق النفسي؛ مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج، وتحسين أداء الفرد، فالإنتاج ما هو إلا ظاهرة إنسانية تتأثر بعدد كثير من العوامل، أهمها العوامل النفسية التي تتمثل في مستويات الرضا لدى العاملين.

الرضا النفسي

يصاحب الفرد الشعور بالرضا حين يستطيع تحقيق الهدف الذي يشبع به حاجاته التي تدفعه إلى الإحساس بالسعادة، فالرضا نوع من التقدير الهادئ، والتأمل العقلي لمدى حسن سير الأمور؛ مما يجعله أكثر انطلاقاً وتفاؤلاً على المستويين الشخصي والاجتماعي؛ أي: توافقه مع البيئة الداخلية والخارجية، هذا التوافق يجعله أكثر سعادة ورضا عن الحياة بشكل عام، سواء أكان في المجال الأسري، أم في مجال العمل، أم في مجال نشاط وقت الفراغ، ويكون جيد الأداء.

ويعد الرضا نتيجة التفاعل بين المواقف الحياتية والمواقف الشخصية الذاتية، والرضا ما هو إلا «مدى تقبل الفرد لنفسه، وشعوره بالسعادة الناتجة من تحقيقه أهدافه»، أو هو الإحساس الذاتي بالفرح والسرور والبهجة والتقبل والقناعة والراحة النفسية، التي تعود على الإنسان عندما يقوم بعمل ما، أو عندما يتمكن من إنجاز عمل ما يحقق أهدافه، ومن ثم يصبح في حالة من الهدوء، ولذلك يعد الرضا نابعاً من الذات. ومن أبرز أنواعه:

- التقدير: يحصل الفرد على التقدير Respectable من المحيطين، كالرؤساء والأصدقاء، مقابل العمل الذي يقوم به الفرد؛ مما يدفعه إلى مضاعفة الجهد؛ كي يدعم فرديته وإحساسه بقيمته في الحياة، وأنه محبوب ومرغوب فيه.
- الإنجاز: الشخصية المنجزة يكون لدى صاحبها القدرة على قهر الصعاب، والإصرار على تحقيق الأهداف، وبلوغ معايير الامتياز. ويقوم صاحب هذه الشخصية بكل ما يكلف به من مهام على الوجه الأكمل، وبكفاءة أسرع، وبجهد أقل. وينظر علماء النفس إلى الإنجاز Achievement على أنه مفهوم معقد يتكون من مجموعة من المتغيرات، أهمها: الطموح العام، والنجاح، والمثابرة على بذل الجهد، والتحمل لتحقيق الهدف، سواء أكان هذا الإنجاز في العمل أم في التحصيل الدراسي أم في حل المشكلات التي يتعرض لها، وربما كان الذكاء أحد العوامل المساعدة على الإنجاز.
- تحقيق الذات: يقصد بتحقيق الذات Self achievement فهم الفرد إمكانياته الشخصية المتمثلة في القدرات النفسية المختلفة، والعمل على تنميتها، والاستفادة منها بأقصى درجة ممكنة، ورغبة الفرد في معرفة ما يجب أن يفعله بكفاءة وإتقان، محققاً أعلى مستوى من الاستقلال والاعتماد على النفس. وتؤدي

ضغط العمل يسبب للفرد الاضطرابات النفسية

التنشئة الاجتماعية السليمة دوراً مهماً في ثقة الفرد بنفسه.

تحقيق الشخصية المتكاملة

قد تنشأ تفاوتات كبيرة بين إنجازات الفرد وطموحاته؛ مما يسبب توتراً لديه لعدم وجود توازن بينهما، فالشخصية المتكاملة تستطيع أن تقدر ما لديها من قدرات، ومعرفة كيف يمكن الاستفادة منها من دون إسراف في الأماني والأحلام، ومن دون إرهاق للقوة الجسمية والنفسية والانفعالية، وبما يحقق الهدف الأسمى من دون مبالغة حتى لا يصاب بإحباط منه لعدم واقعيته.

المكانة الاجتماعية للفرد

المكانة هي النظرة الاجتماعية للفرد بالنسبة إلى الموقف البيئي الحياتي الذي يعيش فيه، وبالنسبة إلى أي تغير في وضع الفرد في البيئة الخارجية، وهي التي يؤدي إلى زيادة شعوره بالارتفاع أو تدنيه اجتماعياً، وتحدد المكانة الاجتماعية بقدر الدور الذي يقوم به الفرد في المجتمع.

المسؤولية

هي المواقف التي يشعر فيها الفرد بالرضا، وذلك إذا ما أعطي مسؤولية نفسه أو كان مسؤولاً عن الآخرين، فالمسؤولية تمثل المناشط التي يتحدث الفرد عنها بوصفها من العوامل المساعدة على تحقيق الرضا النفسي، كما تعني إحساس الفرد بالقدرة والكفاءة في التخطيط واتخاذ القرار مما يشعره بأهميته.

هذه المسؤولية التي يتحملها الفرد تقابل درجة من السلطة

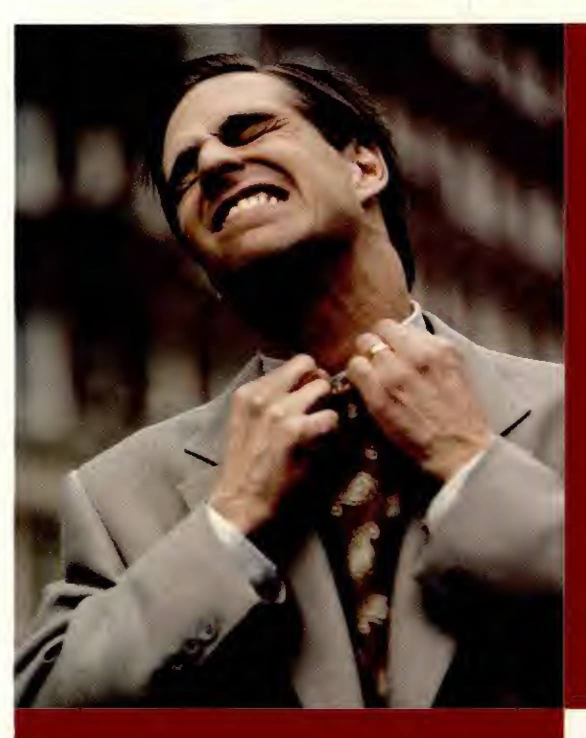
تنشأ تفاوتات كبيرة بين إنجازات الفرد وطموحاته؛ مما يسبب توتراً لديه لعدم وجود توازن بينهما

مكافئة لهذه المسؤولية، فلا يجب أن تكون هناك سلطة بلا مسؤولية، وإلا تحولت إلى ديكتاتورية تسلطية.

الرضا الوظيفي والمهني

هو الرضا الكلي الذي يستمده الإنسان من وظيفته، ومن جماعة العمل، ومن رؤسائه، ومن البيئة وفقاً للتكوين الشخصي لهذا الإنسان؛ أي: أنها دالة السعادة للإنسان واستقراره في عمله، أو ما يحققه هذا العمل من وفاء وإشباع لحاجاته تلك التي قد تتباين كماً وكيفاً من إنسان إلى آخر. وهو الحالة التي يتكامل

الاحتراق هو قمة الضغوط النفسية



فيها الفرد مع وظيفته؛ أي: يتفاعل مع وظيفته من خلال:

- طموحه الوظيفي وآماله وتطلعاته.
- دوافعه نحو النمو والتقدم وتحقيق أهداف مكانته الاجتماعية.

وقد يطلق هذا التعبير في بعض الأحيان على مشاعر العاملين نحو أعمالهم، وهذه المشاعر تعتمد على:

- ما تسمح به الوظيفة للعامل في الوقت الحاضر من الرضا.
- ما تسمح به الوظيفة للعامل في المستقبل.

ويرى بعض الباحثين أن الرضا الوظيفي مرادف لمفهوم الروح المعنوية، أو أنه تعبير عن الموقف تجاه عمله بصورة تعكس وجهة نظر هذا الفرد وتقويمه لعنصر أو أكثر في محيط العمل.

وتتمثل أهم محددات الرضا الوظيفي فيما يأتي:

أ- العوامل الذاتية:

- تتعلق بقدرات العاملين أنفسهم ومهاراتهم، ويمكن قياسها ومعرفتها من طريق تحليل الفرد ومعرفة السمات المميزة له.
- تحديد مستوى الدفاعية لدى العاملين وقوة التأثير في العمل بجانب دوافع العمل لديهم.

ويتفاعل هذان التفاعلان بعضهما مع بعض.

ب - العوامل التنظيمية:

وهي العوامل التي تتعلق بالتنظيم وما يسود هذا التنظيم من علاقات وظيفية تربط بين الوظيفة والموظف، منها:

- الرضا عن نظم العمل وأساليبه وإجراءاته.
- الرضا عن العلاقة بين الرؤساء والمرؤوسين.
- الرضا عن ظروف العمل وشروطه.
- الرضا عن الوظيفة وما تتيحه هذا الوظيفة لشاغلها من إشباعات؛ أي: أن الرضا يشمل الرضا الوظيفي شكلاً وموضوعاً.
- ما يؤديه الموظف من مسؤوليات ومن استقلالية في العمل.

ج- العوامل البيئية:

إن عوامل الانتماء الاجتماعي تؤثر بطريقة مباشرة في الموظف من أجل تقبله وظيفته، ويتم ذلك من طريق التكيف مع وظيفته، والاندماج مع متطلبات تلك الوظيفة، وتقبل المجتمع الدور الذي يقوم به، مع تحديد المؤثرات الخارجية التي لها تأثير فيما هو موجود في داخل المؤسسة. لذلك يمكن تحديد أبعاد

الرضا الوظيفي في ثلاث نقاط:
- الرضا عن سياسات العمل في المنظمة، وتشمل: سياسات الأجور، والتعويضات، والترقيات، والتأمينات، والمواعيد.
- الرضا عن علاقات العمل (العلاقات بالآخرين في محيط العمل).
- الرضا بالعمل ذاته، والتكيف مع ظروف العمل وطبيعته.
ويمكن قياس الرضا الوظيفي بطرائق متعددة، سواء أكانت بالطرائق المباشرة المحددة من طريق «قياس رأي عام»، أم بطرائق غير مباشرة من خلال الانطباعات التي تتوافر لدى الإدارة من العاملين مع توخي الدقة؛ لأن هذه الانطباعات قد تؤدي إلى تكوين صورة زائفة وغير حقيقية عن الرضا؛ لأن العاملين يحجمون عادةً عن إبلاغ رؤسائهم الجوانب السلبية في العمل، وربما تأتي هذه الانطباعات أيضاً من جماعة غير ممثلة لجميع العاملين، فربما تعرب جماعة من العاملين للرؤساء بأن كل شيء ممتاز، فلا بد أن يكون القياس دقيقاً عن الرضا الوظيفي، فيتطلب اتخاذ ترتيبات وإجراءات خاصة من أجل إمداد الإدارة بالمعلومات الدقيقة المنتظمة حول شعور العاملين تجاه وظائفهم وأعمالهم وفق الظروف الواقعية السائدة في منظماتهم.

ضغوط العمل والاحتراق النفسي

كثيراً ما يتعرض الفرد في أثناء مراحل عمله لعدد من الضغوط التي قد تسلبه سعادته، وقد تتفاوت هذه الضغوط من حيث شدتها، ولكنها في النهاية تسبب للفرد الاضطرابات النفسية؛ مما يضعف من أدائه العمل، ويؤثر في النهاية في مستوى الإنتاج بالمؤسسة التي يعمل بها؛ لذا ينبغي تحديد الأسباب التي تؤدي إلى هذه الضغوط، ومحاولة التغلب عليها، سواء من جانب الفرد أم من جانب المؤسسة؛ لأن السلوك التنظيمي ما هو إلا محصلة أنماط سلوكية مختلفة للعاملين في التنظيم، إذ إن هذه الضغوط تؤدي إلى أنماط من السلوك غير الإيجابي في أداء الأفراد، فيتدنى مستوى إنتاجهم كماً وكيفاً.

ومن أهم الأسباب التي تؤدي إلى ضغوط العمل ما يأتي:
- الأعباء الوظيفية: تؤدي أعباء المهنة أحياناً إلى ضغوط كثيرة، فمثلاً: طبيعة عمل الطيار تلقي عليه أعباء أكبر من تلك الأعمال التي تقع على الفلاح، أو الموظف الحكومي، وكذلك الطبيب في حجرة العناية المركزة تختلف طبيعة عمله عن طبيعة عمل الطبيب الممارس في مقدار الضغوط على كل منهما، ومهندس الأدوات الدقيقة يحتاج إلى تركيز في عمله، وهكذا.

أي أنه توجد ضغوط على كل من يمارس واجبات ومهامّ معينة؛ كالأشخاص الذين يشغلون المناصب العليا، وتقع عليهم مسؤولية اتخاذ القرارات المهمة، والذين يقومون بأعمال يدوية ذات مستوى عالٍ من التعقيد، والذين يقومون بوظائف عقلية عليا، والذين يعملون في مجال التوجيه والإرشاد، والذين يعملون في مجال الإذاعة المباشرة والبث المباشر؛ لأن الأخطاء يشعر بها الجمهور.

- تعدد الأدوار التي يتبناها الفرد الواحد: فهو يؤدي دوره في العمل بنجاح، ويتحمل أعباء الوظيفة المنوط بها، ويواجه مطالب وظيفته الكبيرة، ونجده أيضاً يعاني عدم دفء الحياة الأسرية لطول انتظار زوجته وأولاده كي يعود إليهم. وقد يكون من أعباء وظيفته الجديدة السفر مدداً طويلة، ومن ثم لن يستطيع الوفاء بمطالب أسرته بالدرجة نفسها التي يؤدي بها عمله الوظيفي في المؤسسة، فيؤدي ذلك إلى زيادة الضغط عليه في أثناء أدائه عمله، فيواجه هذا الفرد نوعين من التحدي للوفاء بالنوعين معاً وبالكفاء نفسها، خصوصاً أننا نلاحظ أن المجتمع الحديث يتطلب مزيداً من العمل، ومزيداً من الضغط، ونسبة عالية من الانتباه.

- الغموض وعدم وضوح مهام العمل: فالفرد لا يستطيع تحديد مسؤوليات الوظيفة، أو حدود سلطاته الوظيفية، أو متطلبات الإنتاج المطلوب منه ومواصفاته، وهذا يؤدي إلى الشعور بالغموض للدور الذي يقوم به، ومن ثم يؤدي إلى معاناته من الضغوط النفسية. كما يتعرض الفرد لضغوط العمل في حالة الأحمال الزائدة على طاقته، أو في حالة تقلص دوره في العمل وإعفائه من المسؤوليات الوظيفية. ونحن نجد في حالة الأحمال الزائدة، إما أن يكلف الشخص بأعمال أكثر من قدرته على

يحصل الفرد على التقدير من المحيطين، كالرؤساء والأصدقاء، مقابل العمل الذي يقوم به؛ مما يدفعه إلى مضاعفة الجهد



أدائها في الوقت المحدد (القصير)، وإما أن يكلف الشخص بأعمال لا تتناسب مع مؤهلاته وقدراته، وفي كلتا الحالتين يعاني الفرد الضغوط الشديدة.

أما في حالة تقليص المهام والمسؤوليات الوظيفية فتحدث الضغوط؛ لأن الفرد يعاني الشعور بعدم الأهمية، وكذلك بالضيق والملل.

لذلك يجب أن تخضع الأعمال للأحمال المتوسطة؛ حتى يشعر الفرد بالرغبة في دفع العمل إلى الأمام، وتستثار لديه الدافعية لمزيد من العمل؛ حتى لا تنتابه ضغوط مؤلمة أو محبطة، وربما تؤدي بعض الأعمال إلى ضغوط عمل نتيجة طبيعة العمل نفسه، فمثلاً: الأفراد المسؤولون عن أفراد آخرين، سواء أكان من حيث دفعهم إلى العمل أم منحهم مكافأة أم توقيع العقوبات عليهم؛ أي: اتخاذ قرار معين، نجد أن هؤلاء الأفراد أكثر تعرضاً لضغوط العمل من غيرهم، ومن ثم نجدهم أكثر توتراً وقلقاً، وكثيراً ما يتعرضون لقرحة المعدة، وارتفاع ضغط الدم.

إن عدم وجود الدعم الاجتماعي لدى الفرد يؤدي إلى الشعور بالضآلة وعدم الاهتمام؛ مما يزيد الضغوط لديه، بينما وجود الأصدقاء والزملاء في العمل يساعد الفرد على تخفيف حدة الضغوط في مواجهة هذا الضغط بهدوء لتفاديه، كما أن عدم اشتراك العاملين في اتخاذ القرار يؤدي إلى شعورهم بالإهمال من جانب الإدارة، وهذا يزيد الضغط لدى كل منهم.

- الأسباب الشخصية: هناك أسباب شخصية مسببة للضغوط، وتسهم في وجودها بشكل ملحوظ، فقد ثبت أن هناك علاقة كبيرة بين طبيعة حجم الأحداث التي تمر بحياة الفرد وحالته الصحية، فكلما كان الفرد قوياً جسمياً ونفسياً استطاع التغلب على الضغوط. أما في حالة المرض الجسمي والنفسي أو وجود صدمات كثيرة؛ مثل وفاة أحد الأقارب من الدرجة الأولى

أو الأصدقاء، أو وجود حالة طلاق، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة حدة الضغوط إلى درجة لا يستطيع الفرد تحملها، والعكس صحيح، فتمتع الفرد بحالة صحية جيدة يجعله يتحمل الضغوط، بل يدفعه إلى ترسيخ فكرة الالتزام بخط العمل في الحياة مهما واجهه من صعوبات أو مواقف غير سارة، وإصراره أيضاً على النجاح مهما صادفه من معوقات أو عقبات أو ضغوط كي يحقق نتائج محددة قد رسمها، ولا بد من الوصول إليها، وإحساسه أيضاً بأن تلك الصعوبات ما هي إلا تحديات تتضمن فرصاً كثيرة لتطوير النفس، وأساليب حياة أكثر من أن تكون أحداثاً تهدد مصالح ذاته، وعدم قدرته على تحقيق غاياته، بل انتقال هذه الضغوط إلى مجال حياته في الأسرة، وأحياناً تعرضه للأمراض العضوية، كالصداع وبعض الأمراض النفسية، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن التوتر الناتج من مواجهة الضغوط النفسية يمثل ٥٠٪ من الحالات المرضية العضوية «ارتفاع ضغط الدم - قرحة المعدة - السكر - الالتهاب العصابي».



وقد يطلق على هذه الأمراض الأمراض السيكوسوماتية؛ أي: النفسجسمية، ويمكن أن نستنتج الآتي:

- يرتبط رضا الفرد عن عمله بمقدار شعوره بالضغوط المهنية للعمل.
- ينخفض الأداء في العمل إذا زادت الضغوط لدى العاملين.
- قد تؤدي الضغوط إلى الاحتراق النفسي الذي يظهر على شكل توترات عضوية، أو مؤثرات نفسية حادة، والاستمرار في ذلك يؤدي إلى شعور الفرد بالإرهاق البدني والنفسي الشديدين، بل قد يؤدي إلى تكوين اتجاهات سلبية نحو أعمالهم ونحو غيرهم من الأفراد، إلى جانب التعرض للشعور الدائم بالتعب الجسماني، وعدم انتظام النوم، وكذلك الشعور بخيبة الأمل، وهذا الشعور يجعله أكثر تشاؤماً.

ومن سبل مواجهة ضغوط العمل:

- الاعتراف بوجود المشكلة حتى يمكن التغلب على الاحتراق النفسي الداخلي.

- إعادة ترتيب الأولويات، والاعتراف بعدم تحقيق كل ما يصبو إليه الفرد، وأن عليه أن يضحي ببعض الأهداف مثل الراحة الجسمانية مقابل تحقيق هدف ما.
- تدعيم النفس تدعيماً اجتماعياً من طريق وجود الأصدقاء الحقيقيين، الذين يتفهمون طبيعة العمل والمشكلات التي يواجهها الفرد، فهذا يدفع إلى التخفيف على الفرد، والتمتع بالصحة النفسية، إلى جانب تقسيم الحياة اليومية إلى أجزاء خاصة بالعمل وأجزاء خاصة بتحقيق هوايات الفرد التي تشغل اهتمامه خارج نطاق العمل، ومن ثم تجنب الفرد الجمود والشعور بالعجز نتيجة هروبه من العمل.

الاحتراق النفسي

يظهر الاحتراق في المهن التي تقدم المساعدة للآخرين؛ مثل: المدرس، والاختصاصي النفسي، والاجتماعي، والطبيب، والبائع، والممرض، إذ يؤدي هذا الاحتراق النفسي إلى التغييرات السلبية في العلاقات والاتجاهات والسلوك كردّ فعل لضغط العمل.

والاحتراق النفسي هو قمة الضغوط النفسية، إذ يصل الفرد إلى قمة الإنهاك الشخصي والبدني والمعاناة النفسية الشديدة. والاحتراق النفسي يصيب الأفراد الملتزمين والمخلصين في عملهم أكثر من غيرهم. وينتج من الاحتراق النفسي:

- تغيرات سلبية في التفكير والسلوك في مجال العمل.
- إصابة الفرد بالتعب المستمر.
- ظهور أعراض البرد والصداع وقلة النوم والاستعمال الزائد للعقاقير.
- التقليل من قيمة ذاته.

ولا يعني وجود كل هذه الظواهر في الشخص حتى يقال عنه: إنه يحترق، بل يجب أن نفحص بعناية فائقة الظروف المحيطة بالعمل أولاً. وهناك فرق بين الاحتراق النفسي والتوتر؛ فالاحتراق النفسي يشمل التغيير في الاتجاهات، وعلاقات الفرد المهنية بعمله، وشعوره بالإنهاك والشد العصبي بصورة مستمرة، أما التوتر فهو شعور مؤقت نتيجة الإرهاق يزول بعد فترة الراحة.

الاحتراق النفسي هو قمة الضغوط النفسية، إذ يصل الفرد إلى قمة الإنهاك الشخصي والبدني والمعاناة النفسية الشديدة

أسباب الاحتراق النفسي

الأسباب الفردية:

- تبني الفرد العمل المثالي من دون أن يجد ذلك في الواقع.
- رغبة المصلحين الاجتماعيين في إحداث تغييرات اجتماعية من طريق أعمالهم، فيجدون مقاومة وعدم وجود مهارات بين الفرد والعمل.
- إن النجاح السابق للفرد يؤدي إلى استمراره في النجاح، وعدم الشعور بذلك يؤدي إلى الاحتراق النفسي.
- إن درجة تقويم الفرد نفسه قد تكون أعلى مما يجب، فيؤدي ذلك إلى الاحتراق النفسي، وعدم الوعي والتبصر بمشكلة الاحتراق النفسي، واعتماد الفرد على المؤسسات الرسمية والمهنيين المتخصصين لتقديم الخدمات والرعاية النفسية، وكذلك الهيئات غير الرسمية؛ مثل: الأقارب، والجيران، والعائلة، ودور العبادة، لتقديم تلك الخدمات النفسية دون أن يجدها الفرد.

الأسباب التنظيمية:

- عدم الكفاءة التأهيلية للمهنة.
- عدم استثارة العضو من قبل الإدارة، أو الاستثارة الشديدة.
- العمل الرتيب الخالي من التنويع.
- عدم وجود معايير ثابتة، أو وجود إشراف إداري يتسم بالدكتاتورية أو الفوضوية.

الآثار النفسية للاحتراق النفسي

- تقليل الإحساس بالمسؤولية واللامبالاة.
- تتسم العلاقة بين الرئيس والمرؤوس بالبعد النفسي.
- استنفاد الطاقة النفسية للفرد، إلى جانب التخلي عن المثاليات، وزيادة السلبية في الشخص، ولمّ الآخرين للفرد في حالة فشله، ونقص الفعاليات الخاصة بالأداء للفرد، وكثرة التغيب عن العمل، وعدم الاستقرار الوظيفي.



العلاقة بين الرضا المهني والإنتاج

سوف نعرض للعلاقات بين الرضا المهني والإنتاج لكي نصل إلى معرفة أهمية علم النفس في تدعيم الشخصية المنتجة حتى يتحقق الرضا النفسي والوظيفي في العمل الذي يقوم به الفرد. وقد توصل علماء النفس والصحة النفسية إلى ما يسمى (التوجيه المهني). ويعتمد التوجيه المهني على عنصرين أساسيين، هما: تحليل العمل، وتحليل الفرد. ويهدف التوجيه المهني إلى تحقيق المواءمة بين الفرد والمهنة التي يقوم بها، إذ يمكن الاستفادة بأقصى درجة ممكنة من قدرات الفرد واستعداداته في العمل المهني المناسب لهذه القدرات بما يسمح بتحقيق الرضا النفسي لهذا الفرد وحسن أدائه.

مفهوم المواءمة المهنية وعلاقتها بتحليل العمل وتحليل الفرد

المواءمة المهنية تعني تحقيق الملاءمة بين الفرد وما يسند إليه من عمل؛ لأن ما يساعد الفرد على تحقيق سعادته في الحياة هو التوافق مع البيئة الخارجية، وأن يعمل في مهنة مناسبة له، سواء من حيث قدراته الجسمية والنفسية والعقلية والإبداعية أو من حيث خصائص الشخصية واستعداداته النفسية؛ لأننا عندئذٍ نتوقع له النجاح في عمله. ولا يخفى علينا ما للعمل من قيمة لدى الإنسان؛ فالإنتاج هدف الإنسان في حد ذاته، فلو كلفت لهذا الإنسان تكاليف الحياة من نفقات وحرمته من متعة العمل الجاد المنتج لما ارتاحت نفسه إلى ذلك؛ فالعمل يساعد الفرد على إحساسه بكرامته بغض النظر عن العائد المادي، كما يساعده على تحقيق ذاته، والحصول على تقدير الآخرين واحترامهم.

والعمل يكفل للفرد تكاليف الحياة اللازمة لإنفاقه على قضاء حاجاته وكمالياته، وتحقيق رفاهيته، سواء له أو لأسرته. وبالعمل والإنتاج يؤكد الفرد ذاتيته بين أقرانه وفي محيطه الاجتماعي، بجانب أنه يقضي نصف وقته في العمل والإنتاج، ومن ثم يكتسب العمل أهمية كبرى للإنسان، منها أنه يحقق له السعادة واستمتاعه بالحياة، ويكون الفشل فيه مصدراً لعذاب أكبر، وتعاسة شديدة له ولمن يهمهم أمره.

مفهوم الكفاءة الإنتاجية

هي قدرة الفرد أو المؤسسة على الإنتاج الجيد كماً وكيفاً، فكلما كانت الكفاءة الإنتاجية عالية دلّ ذلك على إنتاج الفرد أو المؤسسة الذي يتصف بالوفرة وبالنوعية الجيدة مع سرعة في الوقت وقلة في النفقات.

ومن هنا كانت الكفاءة الإنتاجية هدفاً حيوياً على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع في الوقت نفسه؛ فالطالب ذو الكفاءة العالية يحصل على مقدار أكبر من المعلومات والدروس في وقت قصير وبجهد قليل، والمصنع ذو الكفاءة الإنتاجية العالية يكون إنتاجه وافراً في كمه، وجيداً في نوعه من دون تكلفة مرتفعة بسبب الفاقد الكبير في الوقت والجهد والخامات والمعدات والأجهزة، ويعد تحقيق المواءمات المهنية أولى خطوات تحقيق الكفاءة الإنتاجية.

أهم الأسس التي تبنى عليها عملية المواءمة المهنية

تحليل العمل: وهو العمليات التفصيلية التي تجري على العمل بهدف تحديد واجبات الفرد ومسؤولياته وظروف أدائه ومخاطره وعلاقاته بالأعمال الأخرى، وكذلك تحديد الخصائص التي يجب أن يتميز بها الفرد كي ينجح في عمله؛ لأن الأعمال تختلف بعضها عن بعض، كما تختلف في الشروط الواجب توافرها فيمن يستطيع أن يقوم بها، فهذا عمل يتطلب درجة عالية من الذكاء، وهذا يتطلب درجة متوسطة، فيفشل فيه من كان ذكاؤه أقل من الدرجة المطلوبة، وهذا عمل يتطلب درجة أعلى من الانبساط، بينما يتطلب عمل آخر درجة أعلى من الانطواء، وهكذا تختلف الأعمال فيما بينها؛ فعمل المدرس غير المهندس الميكانيكي وغير البائع.

الإنجاز الفعلي للعمل: أحياناً يقوم اختصاصي العمل بالأعمال التي يتم من خلالها تجميع البيانات حتى يمكنه معرفة الجهد الذي يبذل وكيفية أداء واجبات هذا العمل، كل ذلك من أجل الاستعانة بأكثر من وسيلة لجمع البيانات عن العمل الذي يقوم بتحليله حتى يتمكن من سد النقص في المعلومات بأي طريقة.

تحليل الفرد: تحليل الفرد معناه قياس مختلف خصائص الشخصية وتقديرها، سواء أكانت جسمية، أم عقلية، أم انفعالية، أم اجتماعية، لنبين مدى صلاحية الفرد لعمل معين، سواء أكان طبيباً أم معلماً أم اختصاصياً اجتماعياً، إذ إن لكل منهم خصائص معينة يجب أن تتوافر في الفرد حتى ينجح في هذا العمل، فمثلاً: لو انتهينا لتحليل عمل ما فلا بد من وجود

خصائص أساسية للفرد الذي يتقدم لهذا العمل، مثل:

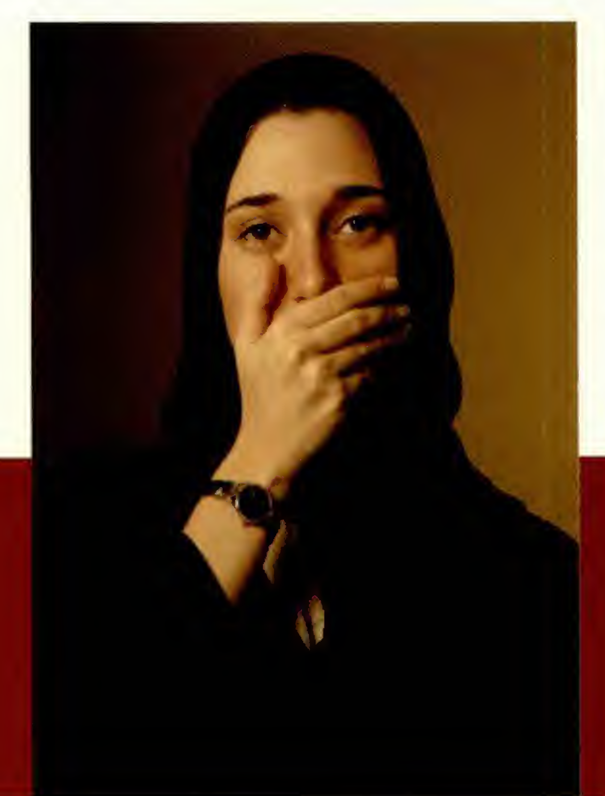
- ارتفاع الذكاء.
- إجادة اللغة الإنجليزية قراءة وكتابة وتحدثاً.
- مظهر شخصي جذاب.
- لديه ذكاء اجتماعي.

فينبغي علينا تحليل شخصية الفرد المتقدم للتعيين في هذا العمل، وينصب التحليل هنا أساساً على قياس النقاط السابقة وتقديرها.

ومن المتعارف عليه أن كل عمل يحتاج إلى خصائص قد تزيد أو تقل عن العمل الآخر. وأهم هذه الخصائص في تكوين الشخصية التي تتقدم لعمل معين ما يأتي:

- الجانب الجسمي: المظهر الخارجي، والصحة العامة، والطول، والوزن، وجوانب العجز الجسمية المختلفة، والأمراض الجسمية كالضغط والسكر.
- المهارات الحسية: كمهارات اليدين، ومهارة الأصابع، والتآزر بين العين واليد والقدم (مدى التناسق والتعاون والعمل معاً في انسجام وإتقان لتأدية كل ما هو مطلوب من السائق)، وزمن الرجع (مدى سرعة الفرد لأن يستجيب للمنبه، كسرعة وقوف السائق عند ظهور الضوء الأحمر لإشارة المرور).
- الخصائص العقلية: كالذكاء، والذاكرة، والقدرة اللغوية، والقدرة الحسابية، والقدرة الميكانيكية، والقدرات الفنية المختلفة.
- خبرات الفرد ومستواه الثقافي: كالمؤهل الذي حصل عليه الفرد، ونوع التدريب الذي استكمله، وجوانب الخبرة أو الخبرات التي مارسها في الأعمال السابقة، ومعلوماته العامة.
- الخصائص الوجدانية: كالدوافع، والميول، والاتجاهات، والعواطف، والعادات، وخصائص الشخصية، مثل: الانبساط، أو الانطواء، أو المثابرة، وتحمل المسؤولية، والميول العدوانية، ومظاهر القلق، ومشاعر الخوف أو الاكتئاب، ومشاعر السعادة والإحباط، أو مستوى الصحة النفسية (النضج الانفعالي - الاتزان الانفعالي، والتوافق النفسي، وسهولة الاستثارة الانفعالية).
- الخصائص الخلقية: كالتعاون، والأمانة، والأنانية، والإيثار، والكرم، والبخل، والرحمة، والقسوة، والسيكوباتية، والميول الإجرامية، وتحرّي العدالة والموضوعية، والنسق القيمي لدى الفرد.

لأنها هي التي توجه وتحدد له اختياراته وتفصيلاته؛ فبعض الناس يكون اهتمامه الأساسي موجهاً نحو جمع المال، وعمل كل ما من شأنه أن يحصل منه على منفعة مالية، حتى لو أدى ذلك



للضغوط النفسية انفعالات وردود أفعال



إلى امتهان كرامته، وأحياناً يراها في هذه الحالة تواضعاً. والثقة بالآخرين أو الشك فيهم، والغرور، والتواضع، والضمير الحي، والتعصب الأعمى، والجمود الفكري، والمرونة، وتملق ذوي السلطة ونفاقهم. والقدرة أيضاً على تحمل الإحباط، وعلى التحكم في الانفعالات، ومدى اللجوء إلى حيلة معينة من الحيل والتوافق، فمثلاً: لجوء الفرد إلى قمع رغباته، أو إلى كبتها، أو التسامي.

فعلى المؤسسات أن تكافئ المخلصين من العاملين بها، وأن تبرز أسماءهم ضمن لوحات الشرف، وأن تقدم لهم بعض المكافآت الرمزية؛ حتى تشد من أزرهم، وتجعلهم يشعرون بالتقدير، ولا يتسرب السأم إلى نفوسهم. وعلى الأفراد أن يفسحوا مساحة في حياتهم للمرح الهادف للترويح عن النفوس؛ حتى يؤدّوا أدوارهم بنشاط وحيوية.

المراجع

١- أحمد عزت راجح، علم النفس الصناعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢- أحمد عبدالخالق، أسس علم النفس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.

٣- أحمد عكاشة، علم النفس الفسيولوجي، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٩٨م.

٤- ابتهاج مصطفى عبدالرحمن، الإدارة الإستراتيجية، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٥- الإدارة للمستقبل، ترجمة د. صليب بطرس، الطبعة الأولى، الدار الدولية للنشر، ١٩٩٥م.

٦- عبدالمجيد نشواني، علم النفس التربوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.

٧- علي السيد سليمان، الصحة النفسية لمعلم التعليم الأساسي، ١٩٩٣م.

٨- علي أحمد علي وآخرون، اتجاهات حديثة في العلاقات الإنسانية، مكتبة عين شمس، ١٩٩٣م، السلوك البشري في مجالات العمل، منشورات ذات السلاسل.

٩- عبدالمنعم الحفني، موسوعة علم النفس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٠- خالد بن عبدالله الخميسي، علم النفس العصبي، الرياض، دار الزهراء، ٢٠٠٠م، أسس علم النفس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

١١- فاطمة عبدالعزيز زكريا، سيكولوجية العلاقات وخدمة البيئة للصف الثالث التجاري، ١٩٩٥م.

١٢- فرج عبدالقادر طه، علم النفس الصناعي والتنظيمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٣- فؤاد أبو حطب، علم النفس فهم السلوك الإنساني وتنميته لطلاب الصف الثالث الثانوي، ١٩٩٥م.

١٤- محمد علي شهيب، العلاقات الإنسانية مدخل سلوكي، دار النشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

١٥- محمد منير حجاب وآخرون، العلاقات العامة المدخل الاتصالي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

١٦- محمد عبدالغني حسن، التعاون والتنمية، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٩٩١م.

١٧- هدى سيف لطيف، الأسس العلمية للإدارة، دار التوزيع والنشر، ١٩٩٥م.

المراجع الأجنبية:

- Bassm e. and Davis. (1994) The Courage to Heeal: Aguidel for Women Survivor of Child abuse (2nd Eal) New York; Harper and Row.
- Blume. E. (1990) Secred Survivors. Uncovering incest and its after effects in women. new York: Ballentine.
- Brewin C. and Rews B. and Gotbib. L. (1993) Psycho Pathology and Early Experience: A reappraisal of retrospective Reports.
- Psychological Bulletin. 113.82-98.
- Brown. D. (1991). Sources of Suggestion and their Applicability to Psychopathology. In. J. Alpert.
- Brown. L.(1995). The Therapy Client as Plaintiff. Clinical and Legal is Sues for Treating Therapisits. Inj. Alpert. Sexual abuse are called (pp 331- 362). North Valem N. J. J a son Aronson.
- Davies G. Frawbey. M. (1994) Treating the Adult Survivor of Childhood Sexual Abuse: A Psychoanalytic Perspective. New York Basic.
-Frankel. F. (1993). Adult Reconstruction of Childhood Events in the Multiple Personality Literature. American Journal of psy Chiatry. L50. 954- 958.
- Haaken. K. and Sehlaps. A. (1991) Incest Resolution Therapy and Objectification of Sexualabuse. Psychotherapy. 28.39 -41.
- Hosch. H. and Both Well. R. (1990) Arousal. Description and Identification Accuracy of Victims. Journal of Social Behavior and Personality. 5. 481 -488.
- Spanos. N. (1994). Multiple Identity Enactment and Multiple Personality Disorder. Psychological Bulling 116. 143- 165.



تحقيق

العرب والعربية جنوب الصحراء

الوجه الآخر للنيجر

معاوية عبدالرحيم كنة

صحفي سوداني مقيم في الرياض

رحلة بين مدينتين يفصل بينهما مسافة وزمن، وتجمعهما أرض واحدة. تقع الأولى على ضفة نهر النيجر، فيما تقع الثانية على تخوم الصحراء الكبرى. تسبح (نيامي) على مياه نهر إيسا كما يسمونه هناك، تصحو وتنام على إيقاع أمواجه الهادئة، وأغاني صياديه البهيجة، فيما تغرق (طاوة) بين رمال الصحراء الحارقة، وصهد شمسها اللافح، تراقب الداخلين إلى قلب الصحراء الكبرى.

تاهت بنا السيارة التي كنا نستقلها للوصول إلى أحد المساجد الذي اختاره مضيفنا النيجري لكي نصلي فيه صلاة الجمعة، وبدت له شوارع نيامي متشابهة، ثم أجبرتنا الرياح المحملة بالرمال على الركون إلى أقرب مسجد شاهدناه.

وفي داخل المسجد البسيط أجبرتني اللغة التي كان يتحدث بها الخطيب على عدم الانتباه إلى تكوينه الداخلي، ولا إلى الذين كانوا يجلسون بجانبي. ثم دفعني ذلك لاحقاً إلى سؤال مضيفي عن سرّ تعلق النيجريين باللغة العربية، وعن شكل الوجود العربي فيها، كما دفعني إلى رصد كل التفصيلات المهمة في هذا الأمر وبحثها، ففي النيجر، في كل مكان فيها تقريباً، يستطيع الزائر العربي أن يجد من يتحدث معه بالعربية ويتعامل بها، هذا على الرغم من التأثير الفرنسي الكبير في كل أشكال الحياة.

ابدأ من النيجر

يتفق عدد من المصادر على أن أكبر تجمع عربي جنوب الصحراء الكبرى موجود في هذا البلد، وإذا ما سألت أحد كتّاب التاريخ عن العرب في إفريقية جنوب الصحراء فإنهم سيقولون لك: ابدأ من النيجر. لكنك ستتفاجأ حينما تعلم أن ١-٢٪ فقط من سكان النيجر، البالغ عددهم ثلاثة عشر مليوناً، هم من العرب، وأن اللغة الرسمية في البلاد هي الفرنسية، وأن عامة الناس يتحدثون بلغات ولهجات إفريقية متعددة، ومع ذلك يحب أغلبهم التحدث بالعربية.

تقع النيجر في الوسط الغربي من القارة الإفريقية، وهي معزولة عن العالم الخارجي؛ لخلوّ حدودها المترامية الأطراف من أي منفذ بحري، إضافةً إلى وقوع جزء كبير من الصحراء الكبرى داخل أراضيها حيث يغطي ثلثي مساحتها البالغة ١,٢٦٧,٠٠٠ كيلومتر مربع، وهو ما جعلها واحدة من أفقر دول العالم، فعلى الرغم من أن أراضيها الشاسعة تلك تزخر بعدد من الثروات الطبيعية: مثل:



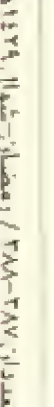


اعتزاز كبير بالعربية في النيجر

اليورانيوم، والحديد، والفحم، والنفط، إلا أن الدولة غير قادرة على استغلال هذه الثروات، كما أن معظم سكان النيجر يعتمدون في اقتصادهم على النتاج الزراعي، علماً أن المساحة الزراعية فيها لا تتعدى ٣٪ من المساحة الكلية للدولة.

يتجاوز عدد سكان الدولة (١٣) مليوناً، ٩٨٪ منهم مسلمون، أما

يغالب سكان النيجر بإصرار ظروف الحياة الصعبة



ما تبقى منهم فيعتنقون النصرانية وبعض المعتقدات الإفريقية التقليدية. ويشكل الهوسا ٥٦٪ من إجمالي السكان، والدّجرما ٢٢٪، بينما يشكل الطوارق والفولاني ٨٪. أما العرب فيشكلون ما نسبته ١-٢٪ من إجمالي عدد السكان، وتتكون النسبة الباقية من قبائل إفريقية أخرى.

الإسلام والعربية والتاريخ

للنيجر في التاريخ الإسلامي مكانة كبيرة؛ فقد كانت أراضيها في السابق جزءاً من مملكتي كانم ومالي الإسلاميتين الشهيرتين، وهذا ما جعل بعض مدنها؛ مثل (بلما)، تؤدي دوراً كبيراً في المنطقة إبان الحقبة الإسلامية.

عرفت النيجر اللغة العربية كما عرفت الإسلام منذ أكثر من ألف عام: إذ لم تحجب الصحراء الكبرى -على رغم وعورة مسالكها- التواصل بين شمال إفريقية وغربها ووسطها عبر طرق ووسائل مختلفة، أبرزها الاتصال التجاري.

في متون الكتب التاريخية نقرأ أن العرب والبربر حملوا مشاعل الإسلام والثقافة العربية عبر أربعة طرق تجارية من شمال القارة إلى وسطها وغربها: أولها يربط ليبيا وتونس بمنطقة تشاد، وثانيها تونس ببلاد الهوسا، وثالثها الجزائر بأواسط نهر النيجر، ورابعها المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر ونهر السنغال.

وعبر القرون الطويلة نشأ في تلك المناطق عدد من الممالك والدول التي دانت بالإسلام، واتخذت من اللغة العربية لغة رسمية لها. وعلى الرغم من أن اللغة العربية لم تتمكن طوال تلك المدة من السيطرة تماماً على ألسنة الناس هناك، إلا أنها ظلت الوسيلة

على الرغم من أن اللغة العربية لم تتمكن من السيطرة تماماً على ألسنة الناس، إلا أنها ظلت الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الأفكار

الوحيدة للتعبير عن الأفكار؛ إذ ما زال النيجريون -كما هو الحال في بعض دول الغرب الإفريقي- يكتبون رسائلهم ووثائقهم ويسجلون تواريخهم باللغة العربية، حتى إن بعضهم يكتب كلمات لغاته الوطنية، مثل اللغة الفلانية والهوسية، بالحروف العربية، إضافةً إلى إدخال بعض المفردات العربية في صلب هذه اللغات.

لقد أسهمت إذاً الهجرات العربية التي بدأت في القرن الثاني الهجري والتداخل بين القبائل العربية والإفريقية في بناء جسور من التلاقي بين الطرفين. كما أسهما كذلك في تلوين النسيج الاجتماعي بسمات خاصة تعكس مدى التمازج والاندماج بين الجانبين، وامتد أثر ذلك إلى جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

محاولات الاندماج والترابط

في وسط أحد الشوارع الرئيسة في العاصمة نيامي يشاهد المرء لوحة كبيرة مكتوبة بحروف عربية واضحة (رابطة التضامن العربي الإفريقي)، وفي طرف اللوحة سهم يوجّه قارئها إلى مكان وجودها.

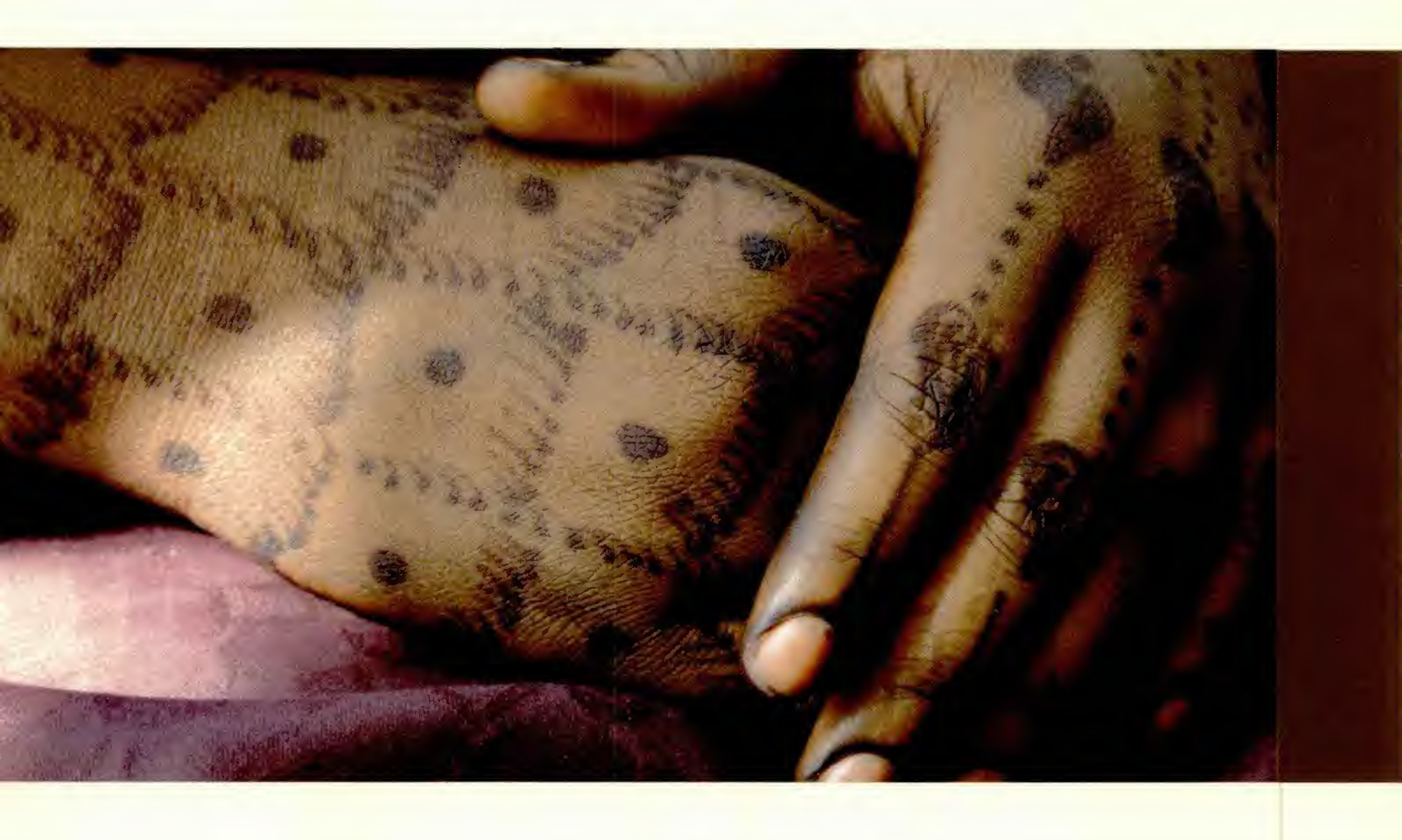
يدفع الفضول كلّ من يقرأ هذه اللوحة إلى التوجه إلى مكان الرابطة، خصوصاً إذا كان مثلي ممن يبحث عن العربية والوجود العربي هناك. ويبدو المكان الذي تحمل لوحته الخارجية الاسم نفسه متوافقاً من الداخل، غير أن ملامح الموجودين فيه تدلّ على ما ذهبت إليه اللوحة. ففي صدر البناية يطلّ عليك وجه إفريقي يجلس بجانبه وجه آخر عربي، كأنما الأمر مقصود منه تأكيد ما حملته اللوحة من عبارة، وما قاله المؤرخون من قبل من أن الترابط الجغرافي للبلاد العربية والإفريقية وما نتج منه من أحداث تاريخية عملا على اندماج العرب والأفارقة.

في عام ١٩٩٧م نجح مجموعة من النيجريين من أصول عربية وإفريقية في تأسيس (رابطة التضامن العربي الإفريقي)، التي يقول عنها رئيسها حسن مبارك: إنها تهدف إلى ربط العلاقات العربية والإفريقية على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإخماد الفتن والحروب والمنازعات، وتحقيق العدالة الاجتماعية والتنموية، إضافةً إلى تربية الأجيال تربيةً إسلاميةً صحيحةً من خلال التعليم الديني، وإدخال نظام الخلاوي والكتاتيب وإدماجها في المجتمع. ويضيف حسن مبارك، الذي يؤكد نجاح الرابطة في تحقيق بعض هذه الأهداف: إن الرابطة تعدُّ بمنزلة مجتمع ثقافي يجمع عدداً من المثقفين والمفكرين والشخصيات المهمة في النيجر، إضافةً إلى وجود تمثيل لكل القبائل الموجودة في البلاد، حتى إن عدد أعضاء الرابطة وصل إلى (٦٤) ألفاً ينتمون إلى تسعة بلدان في غرب إفريقية.

ويقول مبارك، الذي ينتمي إلى قبيلة بني شاكر التي تنحدر -كما يقول- من أصول أوسيَّة: هاجر منذ الفتح الإسلامي الأول من الجزيرة العربية عدد من اللغات

صور من التلاقي العربي الإفريقي في النيجر





واللهجات المحلية، بينها العربية. ويعمل آخرون معه من خلال الرابطة على دمج اللغة العربية في النسيج الاجتماعي في النيجر، وذلك من خلال عدة وسائل؛ منها: إنشاء المدارس النموذجية لتعليم اللغة العربية، والقيام بجولات إلى بعض الدول العربية بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في النيجر؛ للتقريب بين المناهج. وقد نجح -كما يقول- في إدخال المناهج العربية إلى مناهج التعليم النيجري بعد أن كانت فرنسية مئة في المئة.

هذا الحديث عن العرب والعربية قادني إلى سؤال حسن مبارك عن الإعلام ودوره، ولاسيما أننا نتحدث عن دولة معظم سكانها من الأميين، وكنت في وقت سابق قد شاهدت إحدى الإذاعات الإسلامية، ومدى افتقارها إلى الإمكانيات والمواد الإعلامية. وهنا يذكر حسن تجربته الفاشلة في إنشاء صحيفة عربية باسم (الوطن) في عام ١٩٩١م، وكيف أنها لم تنجح في الاستمرار سوى عام ونصف العام؛ بسبب ضعف الإمكانات المادية على الرغم من أنها كانت شبه مجانية.

ولكنه في المقابل يذكر بكل فخر نجاحه في إنتاج برنامج عربي مدّته نصف ساعة يبثّ من محطة التلفاز الوطنية بشكل مستمر، وكذلك في المحطة الإذاعية. ويضيف: إن الوقت الآن أفضل من أي وقت سابق لتكثيف البرامج والمواد الإعلامية، سواء أكانت الصحفية منها أم الإذاعية، وذلك لأن إقبال النيجريين على تعلّم العربية أصبح كبيراً.

نيامي التي شاهدتُ

على عكس العواصم والمدن الإفريقية، فإن نيامي تبدو لزائرها

للنيجر في التاريخ الإسلامي مكانة كبيرة؛ فقد كانت أراضيها في السابق جزءاً من مملكتي كانم ومالي الإسلاميتين الشهيرتين



المسلمون يمثلون أغلبية سكان النيجر

منذ الوهلة الأولى هادئةً آمنةً، فعلى الرغم من مظاهر الفقر والعوز البادية على وجوه سكانها إلا أن أحداً منهم لا يجرؤ على الاعتداء أو السرقة أو السلب، كما أن شوارعها تكاد تكون خالية من أي مظهر من مظاهر التسوّل، وهو ما يعطي المرء انطباعاً طيباً وصورة كاملة عن طبيعة الناس وتكوينهم الأخلاقي، ويدفعه إلى التجول فيها ليل نهار دون أيّ خوف أو وجل.

قادتني جولاتي داخل نيامي إلى معرفة كثير من تفاصيل هذه العاصمة الفقيرة، التي ترقد على جانبي نهر النيجر، الذي يجري أكثر من خمسمئة كيلومتر داخل الأراضي النيجرية، حيث يشاهد المرء عدداً من الفنادق الكبيرة المملوءة على الدوام بأعداد من الفرنسيين، وهو ما يمكن مشاهدته في أماكن أخرى؛ حيث يرى المرء عدداً من المنظمات والهيئات والشركات الأجنبية التي تتسابق في تحقيق أهدافها، كلّ على طريقتها الخاصة.

تقع نيامي في أقصى جنوب البلاد، على عكس معظم العواصم الأخرى في العالم التي تقع عادةً في الشمال أو الوسط. ولهذا الموقع الغريب مسوّغاته، خصوصاً إذا ما نظرنا إلى موقع النيجر في خريطة إفريقية، وتكوينها الجغرافي والطبيعي، الذي يبيّن مدى انعزالها عن العالم الخارجي، وخلوّ حدودها من أية منافذ بحرية، إضافة إلى اتّساع مساحتها، واحتلال الصحراء الكبرى أكثر من ثلثيها. ولعل هذا هو ما يفسّر هذا الموقع البعيد جداً عن كثير من المدن والمناطق الأخرى، التي من المؤكد أنها تثير في ذهن أي شخص كثيراً من الأسئلة حول حالها وأوضاعها.

حلم أغاديس

منذ أن وصلت إلى النيجر كان عقلي يُدفع باسم أغاديس، وكان شوقي إلى رؤية هذه المدينة لا ينقطع. كنت أحلم برؤية واحاتها، ورمالها، وأسواقها القديمة؛ لكثرة ما قرأتُ عنها وسمعتُ. لكن أحلامي تلك تبخّرت منذ الساعات الأولى لوصولي إلى النيجر، حينما علمت بصعوبة الوضع هناك؛ إذ كانت آثار الخلافات والمناوشات بين الطوارق والعرب من جهة والحكومة النيجرية من جهة أخرى لا تزال باقية، وهي خلافات تعمل جهات خارجية على تأجيجها؛ لتحقيق بعض مصالحها الخاصة، التي تدور حول ترسيخ مفهوم التمييز العنصري بين العناصر التي تسكن في هذه المنطقة، وهو ما يؤكد كثيرون عدم وجوده في النيجر بشكل عام. وإضافةً إلى ما ذكرتُ من أسباب كانت تدفعني إلى الذهاب إلى هناك، فإن أغاديس واحدة من المدن الثلاث في النيجر التي يسكن فيها العرب، فإضافةً إليها هناك نيامي وطاوة التي تقع على أبواب الصحراء الكبرى من الناحية الجنوبية.

وطاوة، التي تُنطق أحياناً تاهوا، تعدّ عاصمة للإقليم الذي يحمل الاسم نفسه، ويتمدّد على مساحة كبيرة من الأرض تبلغ ١٣,٣٧١ كيلومتراً مربعاً، ويضم في داخله ٨ محافظات، و٤٤ مدينة ريفية، ويمتلك حدوداً دولية مع كلّ من مالي والجزائر ونيجيريا، ويمثّل سكانه الذين يغلب عليهم العنصر العربي ١٨٪ من سكان النيجر.

الطريق إلى طاوة

لم تبقَ كثيراً الهواجس التي انتابتني قبيل البدء في هذه الرحلة، والتي ستقودني إلى الصحراء الكبرى؛ فما أن خلفت ورائي نيامي وبيوتها حتى اندفعت إلى ذاكرتي عشرات الصور والمشاهد المختزنة



السلطان مامادو علي كرسيه

عن الصحراء الكبرى، وعن الحياة فيها، فازدادت الرغبة عندي في مواصلة الرحلة.

يطلق النيجريون على طاوة عاصمة الصحراء، مع أنها تقبع في أطرافها؛ فهي ليست بعيدة عن نيامي إلا في الوقت الذي تستغرقه الرحلة؛ ذلك لأنها لا تبعد عنها سوى ٦٥٠ كيلومتراً، ومع ذلك فإن أفضل السيارات لا تستطيع قطع هذه المسافة في أقلّ من اثنتي عشرة ساعة على أقل تقدير. يلخّص هذا الطريق بعض ما يمكن مشاهدته لاحقاً، كما يلخص بصورة عامة الحالة الاقتصادية للنيجر، ولاسيما أن هذا الطريق يُعدّ أحد المنافذ الخارجية التي تربط النيجر ببعض الدول الواقعة إلى الجنوب الشرقي؛ مثل: نيجيريا، وبوركينا فاسو.

مع تقدّمنا إلى الشمال كانت الطبيعة أمامنا تتبدّل من مكان إلى آخر، وكذلك كان الطريق يزداد سوءاً. ومع ذلك بقيت بعض المشاهد ثابتة: أكواخ القرويين وسط الحقول الصغيرة، والمساجد الأنيقة المبنية من الحجارة التي قام ببنائها بعض المحسنين من السعودية وبعض دول الخليج، ثم العسكر وحبالهم الطويلة التي تعترض الطريق وتستخدم حواجز للتفتيش. إنه مشهد آخر يلخّص الواقع، لكنه مع ذلك يعطي انطباعاً جميلاً لزائر النيجر، فمع كثرة حواجز التفتيش تلك لا يكفّ هؤلاء الجنود عن توزيع الابتسامات في وجه الغرباء، وإبداء الاستعداد لتقديم المساعدة المطلوبة، مع أن شيئاً ما حولهم لا يدعو إلى الابتسامة، ناهيك من السعادة البادية على وجوههم.

الآن، وقد اقتربنا من حدود طاوة؛ إذ لم يتبقَّ سوى بضع عشرات من الكيلومترات، وذلك بعد أن تجاوزنا مدينة دوسو؛ إحدى المدن الكبرى في النيجر، ولم يعُدْ أمامنا سوى مسافة تستغرق أقلّ من نصف ساعة؛ كان هاجسنا في تلك اللحظات هو الوصول قبل حلول الليل، ولكن بعد أن تخطّينا حدود مدينة دوسو، وبدأنا بالدخول إلى حدود طاوة عابرين الطرق الوعرة المملوءة بالصخور والرمال، أشار مرافقي إلى السائق بالتوقف في مكان بدا لي أنه مهم، ليس من شكله؛ فقد كان مجرد خيام سوداء، ولكن من أهميته كمنفذ حدودي إلى العالم الخارجي عبر نيجيريا، ثم أمر آخر!!.

جاء مكان وقوفنا إلى جوار سيارتين أنيقتين، كان يجلس بجانبهما رجلان يبدوان من هيئتهما أنهما مهمّان، وكذلك من الرجال الأقوياء الذين كانوا يقومون بحراستهما. أشار إليَّ مرافقي بالسلام عليهما، ثم عرّفني بهما. كان الأول رئيس الوزراء السابق ورئيس أحد الأحزاب الكبيرة في النيجر، والآخر هو وزير التجارة الحالي. مع حلول المساء كان مشهد ملابسهما البيضاء الأنيقة، وهما جالسان على فرش سوداء في أرض جرداء، يبدو رائعاً، والأجمل كانت تلك البساطة التي يتعاملان بها، ثم ترحيبهما بنا.

في حضرة السلطان

على الرغم من إقامتي يومين في المدينة، ورغبتي الشديدة في معرفة معنى كلمة طاوة، إلا أنني رفضت توجيه السؤال إلى أيّ شخص إلا حينما قابلت السلطان: سلطان مدينة طاوة وما حولها؛ ذلك لأنني كنت أعرف أن الرجل سيعطيني الجواب الكافي.

يبدو منزل السلطان مامادو، وهو غارق في بحر من الرمال الصفراء، مثل قلعة كبيرة من تلك التي تذكّرك بالعصور القديمة. وحول بوابته الواسعة والعتيقة يقف حرّاس المنزل على جانبي الباب، عماماتهم الحمراء التي تغطي وجوههم تبهر الرائي، أما

والألجمة الخاصة على ما يبدو بخيوله، ثم أخرج مفتاحاً من جيبه؛ ليقوم بفتح باب داخلي يفضي بنا إلى غرفة داخلية، وفي واجهته لوحة كبيرة عليها بعض الرسوم. ثم انهمك السلطان في الشرح والرواية:

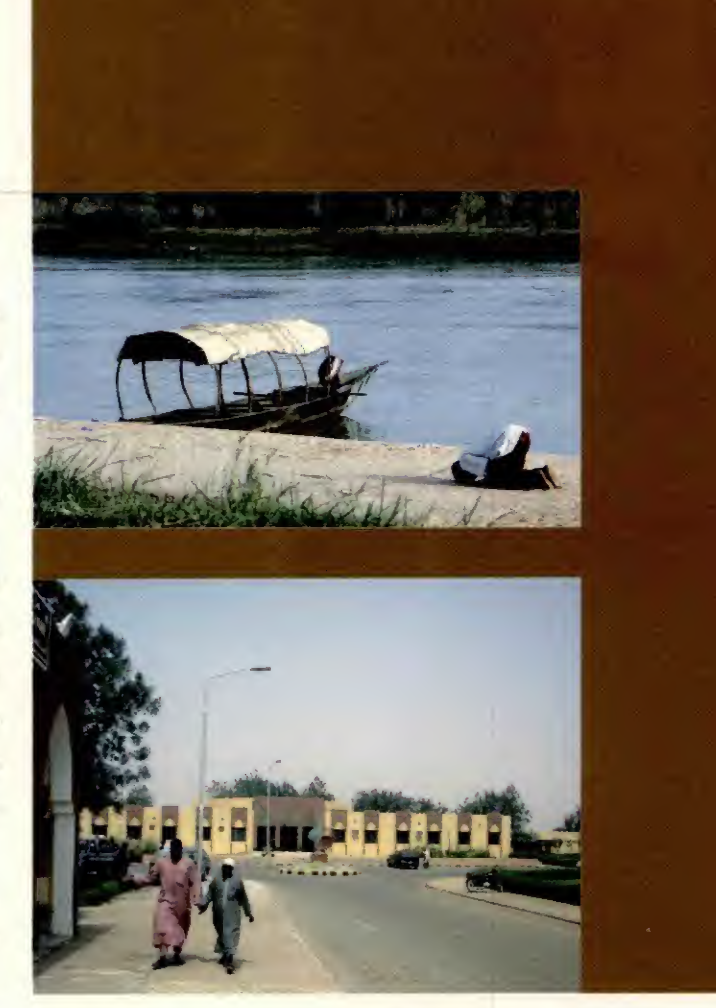
كان في هذا المكان في قديم الزمان رجل يحبّ الصيد، ويستخدم من أجل ذلك شراكاً على شكل شبكة. وذات يوم قدم رجل من أقصى الشمال، وكان هذا الرجل صياداً ماهراً ومعروفاً لدى الجميع، تصادف وجوده في المكان ذاته مع صاحب الشبكة، وتصادف أن ضرب هذا القادم برمحه غزالاً وقع من شدة ضربه في شبكة الرجل الآخر، فأخذ كل منهما يجادل الآخر ويمسك بالغزال ويقول: طاوطس، طاوطس، (هذا لي، هذا لي). ونزل في هذا المكان بعد أيام أفراد من قبيلة تُدعى (فاكاوا) قاموا بتأسيس طاوة التي أخذت اسمها من طاوطس.

حينما أكمل السلطان شرح روايته عرفتُ لماذا يخبّئ مفتاح هذه الغرفة جيداً في جيبه، ولماذا تقبع الغرفة في مكان آمن وسط عدد من الأبنية. وازدادت هذه المعرفة عندي حينما عرّفني على بعض الأشياء الثمينة الأخرى الموجودة فيها، التي تمثّل جزءاً من تاريخ سلطنته؛ مثل مصحف قديم مزخرف محفوظ بعناية داخل علبة خضراء قال لي: إنه مخصّص لقسَم السلطان الجديد وبيعته، وهو نظام متّبع منذ تأسيس السلطنة التي يرجع تاريخها إلى زمن قديم، حينما وفد جدّهم الذي ينتمي إلى قبيلة أدراوا من بغداد، ثم قاموا بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية التي كانت تسكن في طاوة وما حولها، وهذا ما قادهم إلى حكم المنطقة لاحقاً، وتأسيس السلطنة الخاصة بهم.

كان السلطان وهو يتحدث إليّ يشير إلى بعض الرسومات والصور المُعلَّقة على الجدران، التي تصوِّر أجداده منذ قدومهم إلى طاوة. وكان بين الفينة والأخرى يؤكد لي أصله العربي، مشيراً إلى ملامح بعضهم التي تشبه الملامح العربية حقيقةً، والتي اختفى بعضها مع مرور الوقت، وتزاوجهم مع القبائل المحلية هناك، ثم انتشارهم ما بين طاوة وأغاديس حيث يوجد عدد منهم.

لم ينسَ السلطان وأنا أتهيأ للمغادرة أن يقصّ عليَّ بعض القصص التي تحكي تاريخ أجداده، الذين يحملون أسماء عربية؛ مثل: حمزة، وجعفر، ومحمد، وكذلك حكى لي عن صراعهم المرير مع الاستعمار الفرنسي.

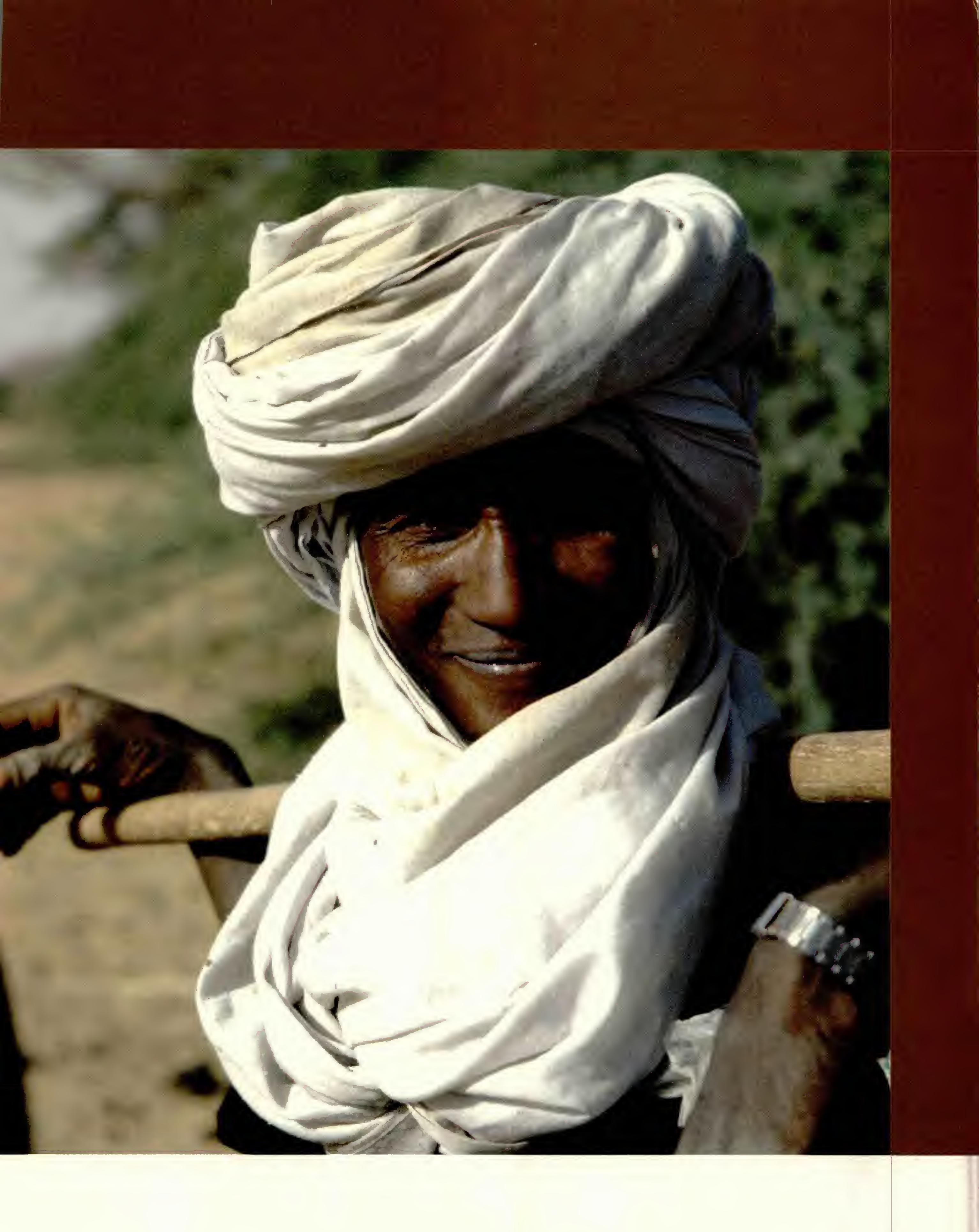
يجلس السلطان مامادو، أو محمد بالعربية، واسمه بالكامل


مركز الأمير سلطان في قلب نيامي واحد من مراكز العلوم

أعينهم الظاهرة من بين هذه اللفافات الحمراء فتبعث في النفس الراحة والطمأنينة.

يبدو الرجل، وهو جالس على كرسيّه الكبير، سلطاناً حقيقياً مهاباً، وعلى جانبيه الأيمن والأيسر كرسيّان آخران، لا يجرؤ أحد على الجلوس عليهما إلا إذا طلب هو ذلك. حينما وجّهت إليه السؤال الأول عن معنى طاوة فرح الرجل فرحاً شديداً، حتى إنه قام من مكانه ودعاني إلى الدخول إلى إحدى الغرف الجانبية. عبرتُ بصحبته بهو هذه الغرفة، التي كانت مملوءة بأنواع من الأسرجة

تقع النيجر في الوسط الغربي من القارة الإفريقية، وهي معزولة عن العالم الخارجي؛ لخلوّ حدودها المترامية الأطراف من أي منفذ بحري



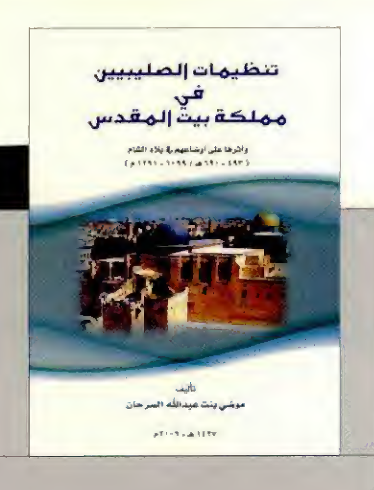
محمد موسى صالحو، على كرسيّه هذا منذ ٤٦ عاماً، ويمثل في منطقة طاوة (تاهوا)، المقسّمة إلى ثلاث مناطق إدارية، السلطة القضائية والشرعية؛ إذ يقبل إليه الناس من كل هذه المناطق ومن مناطق أخرى خارجية للحكم بينهم في المنازعات، وكذلك لإسداء النصح؛ إذ يقول إن سلطنته منذ تأسيسها أسهمت في القضاء على كثير من المشكلات والقضايا الكبرى، كما أسهمت في إزالة البدع والخرافات ونشر الإسلام بصورته الصحيحة.

هل ينجحون؟

تُغريك الأصوات النديّة التي تلهج بآيات من القرآن الكريم بمواصلة التجوّل في مدرسة الفضيلة، وهي واحدة من المدارس التي تقوم برعايتها رابطة التضامن العربي الإفريقي في طاوة. لا تحمل جدران الفصول التي يجلس فيها الأطفال الصغار من مكونات الجدار سوى الاسم: أطلال من طين على الأرض، ولوحة سوداء ابيضّت بعض أجزائها من كثرة الكتابة عليها، وفرش من التراب، ثم لا شيء. لكن ذلك لم يمنع هؤلاء الأطفال ولا آباءهم من مواصلة تعلّم القرآن الكريم والتفقّه فيه.

ففي وسط هذه البيئة المحافظة على التعاليم الإسلامية تجد اللغة العربية حفاوة كبيرة من الجميع على الرغم من الهموم التي تواجه هذه اللغة في النيجر بشكل عام، وأبرزها السيطرة الفرانكوفونية، خصوصاً في العملية التعليمية، وهذا ما دفع بعض العائلات العربية في منطقة طاوة إلى إرسال أبنائهم إلى العرب المقيمين في الصحراء لاكتساب اللغة الفصيحة والتقاليد العريقة، كما دفع كثيراً من المسلمين من غير العرب إلى العمل على فتح مدارس عربية إسلامية خاصة، وهذا ما فعلته إحدى الإذاعات الإسلامية الخاصة، وهي إذاعة (بون فيري)؛ إذ أنتجت برامج خاصة لتعلّم اللغة العربية تقوم ببثها على الهواء، وأخرى لتصحيح التلاوة، وذلك على الرغم من المشكلات الكثيرة التي تواجهها.

إن للنيجر وجهاً آخر ليس هو تماماً ما تصوّره وسائل الإعلام الغربية، التي لا ترى سوى الوجه الذي شاركت هي في صنعه من أجل مصالح تهمّها وتهمّ الدول التي تبثّ منها. هناك في النيجر وجوه أخرى كامنة في أعماق سكانها وأرضها تنتظر من يتحرّك لبعثها.



السرحان، موضي بنت عبدالله / تنظيمات الصليبيين في مملكة بيت المقدس وأثرها على أوضاعهم في بلاد الشام (٤٩٣ - ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩ - ١٢٩١م).- الرياض: المؤلفة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٥٣٨ص.

تمثل حكومة بيت المقدس إحدى الحركات السياسية الغربية، التي نشأت في الشرق الإسلامي، وأقامت نظمها على النسق الأوربي. وقد طبقت هذه النظم مدة قرنين من الزمان (٤٩٣ - ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩ - ١٢٩١م).

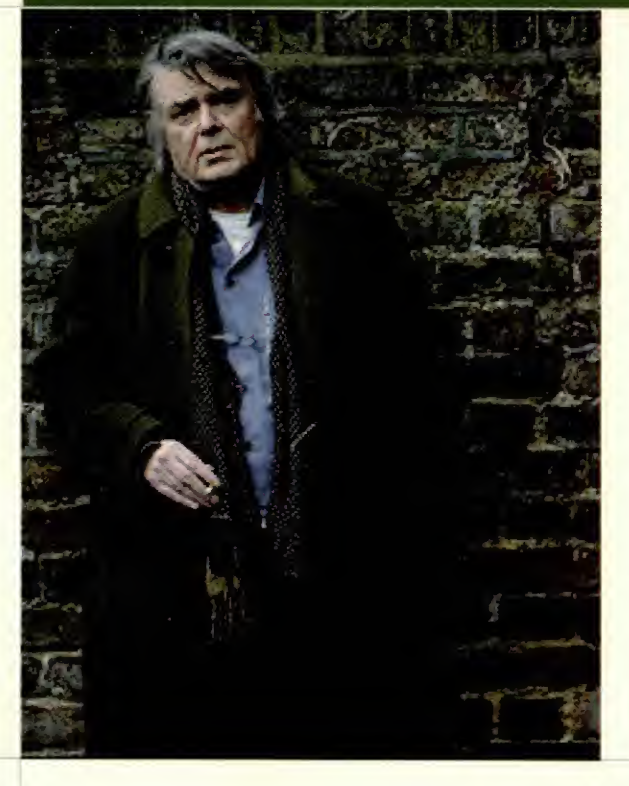
ويُعنى هذا الكتاب بدراسة تنظيمات الصليبيين التي طبقوها في مملكة بيت المقدس، وتشمل تنظيم الحكم والإدارة، والتنظيم القضائي، والتنظيم المالي، والتنظيم العسكري، وأثر تلك التنظيمات في أوضاعهم في أثناء إقامتهم في الشرق من حيث كيفية تطبيق تلك التنظيمات، وهل أسهمت في بقائهم أو أن هناك خللاً ما في تلك التنظيمات أدى إلى ضعف الوجود الصليبي، ومن ثم زواله في أواخر القرن ٧هـ/١٣م؟

وقد قامت المؤلفة في هذه الدراسة بجمع المعلومات من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث، سواء أجنبية أم عربية، وإخضاع هذه المعلومات للنقد والتحليل والمقارنة وفق الأساليب العلمية المتبعة، ثم صياغة المعلومات في أسلوب واضح بعيد عن المبالغة والحشو، للوصول في نهاية الأمر إلى نتائج واضحة، وإعطاء صورة متكاملة للموضوع بطريقة محايدة.

جاء الكتاب في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تناولت المؤلفة في الفصل الأول «تنظيم الحكم والإدارة وأثره»، وناقشت في الفصل الثاني «التنظيم القضائي وأثره»، وتناولت في الفصل الثالث «التنظيم المالي وأثره». وكان آخر الفصول بعنوان: «التنظيم العسكري وأثره». واستعرضت في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ذيّلت الرسالة بمجموعة من الملاحق والخرائط.

أخبار

وفاة الكاتب البريطاني سيمون جراي



توفي الروائي وكاتب السيناريو البريطاني سيمون جراي عن عمر ناهز ٧١ عاماً بعد معاناة مع مرض السرطان. وقد ترك جراي أكثر من ٣٠ مسرحية من الكوميديا السوداء، من بينها: (ارتباط مختلف) التي عُرضت في عام ١٩٧٥م، و(شروط كوارتر مين)، و(ميلون)، و(جيبس والسادة الكبار). وعُرضت أعمال جراي على مسارح ويست آند وبرودواي منذ نجاح مسرحيته الأولى (طفل ذكي) في عام ١٩٦٧م، كما جذب في السنوات الأخيرة الانتباه إلى المذكرات اليومية التي كتبها بعنوان (يوميات الدخان)، ويصف فيها ضمن أمور أخرى إدمانه التدخين بشراهة الذي وصل إلى ٦٠ سيجارة يومياً، واعتلال صحته بسبب ذلك.

وُلد جراي في هامبشاير في عام ١٩٣٦م، وتخرّج في جامعة كامبريدج، وألقى محاضرات سنوات كثيرة في كلية كوين ماري وجامعة لندن.

وفاة دوريس كيلياس محبة الأدب العربي

توفّيت مؤخراً الألمانية دوريس كيلياس، التي تعدّ من أهم دارسي الأدب العربي في الغرب، عن عمر ناهز ٦٦ عاماً، بعد أن قضت ٣٠ عاماً وهي تبذل جهداً كبيراً لتعريف المجتمعات الناطقة بالألمانية بالأدب العربي، وكان تأثرها بكتاب (دراسة في الخطوط العربية) للكاتب الروسي المستعرب كراتشكوفسكي سبباً في اهتمامها بدراسة الأدب العربي، وقد ترجمت كتباً كثيرة من العربية إلى الألمانية لأدباء مثل: نجيب محفوظ، وإميلي نصر الله، ومحمد شكري، وجمال الغيطاني، وميرال الطحاوي، ورجاء الصانع، وبهاء طاهر، وإبراهيم أصلان، وكثيرين غيرهم، وكانت في كل سنة تترجم كتاباً عربياً.

وُلدت دوريس في الثاني والعشرين من يوليو عام ١٩٤٢م في بروسيا الشرقية، التي اقتطعت من ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت تابعة لبولندا. وقد انتقلت مع أهلها إلى برلين الشرقية، ونشأت في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وظلّت مقيمةً فيها حتى انهيار جدار برلين. وبعد الوحدة الألمانية عاشت في منزل في شرق العاصمة برلين، وظلّت تدرس الأدب العربي وآداب اللغات المنحدرة من اللاتينية في جامعة هومبولت.



الكويت تطلق قناة فضائية ثقافية

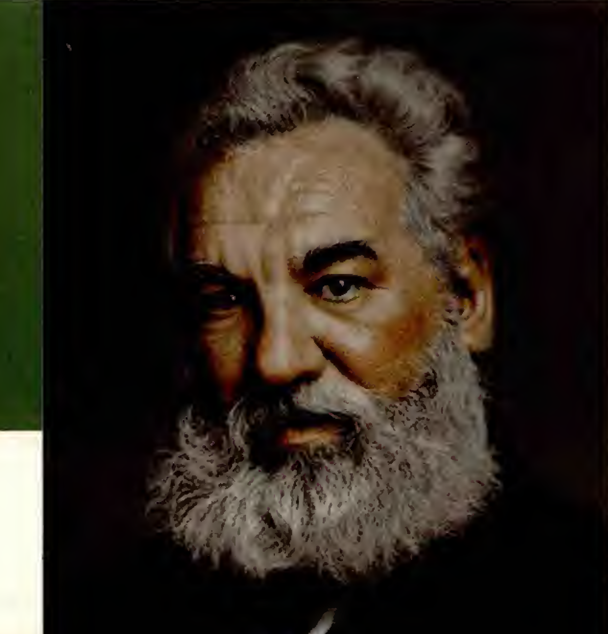
أوضح وزير الإعلام الكويتي الشيخ صباح الخالد أن بلاده تسعى إلى إطلاق قناة فضائية ثقافية تتبنى الموروث الثقافي الكويتي، كما تسعى إلى إنشاء مدينة إعلامية بمساهمة الحكومة والقطاع الخاص، مع طرح نصف أسهمها للاكتتاب العام، وقال: إن الدولة ستوفر لهذا المشروع مساحات واسعة تضم استديوهات، ومسارح، وكل الإمكانات المتصلة بمجالات الثقافة والإعلام. وأضاف أن بلاده تبحث إطلاق قمر صناعي بتكلفة أولية تصل إلى ٦٠ مليون دينار (٢٢٥ مليون دولار). كما أشار إلى وجود خطة لتفعيل دور المكاتب الإعلامية في الخارج بما يتواءم مع خطة التطوير الشامل للإعلام الكويتي. وقد كلفت وزارة الإعلام ٤ شركات استشارية عالمية لتقويم دور الوزارة ومسؤولياتها، في إطار توجّه لإنشاء مجلس أعلى للإعلام يضم خبرات متميزة، ويضع آليات لميثاق شرف إعلامي.

وفاة أديب نوبل الروسي سولجنستين

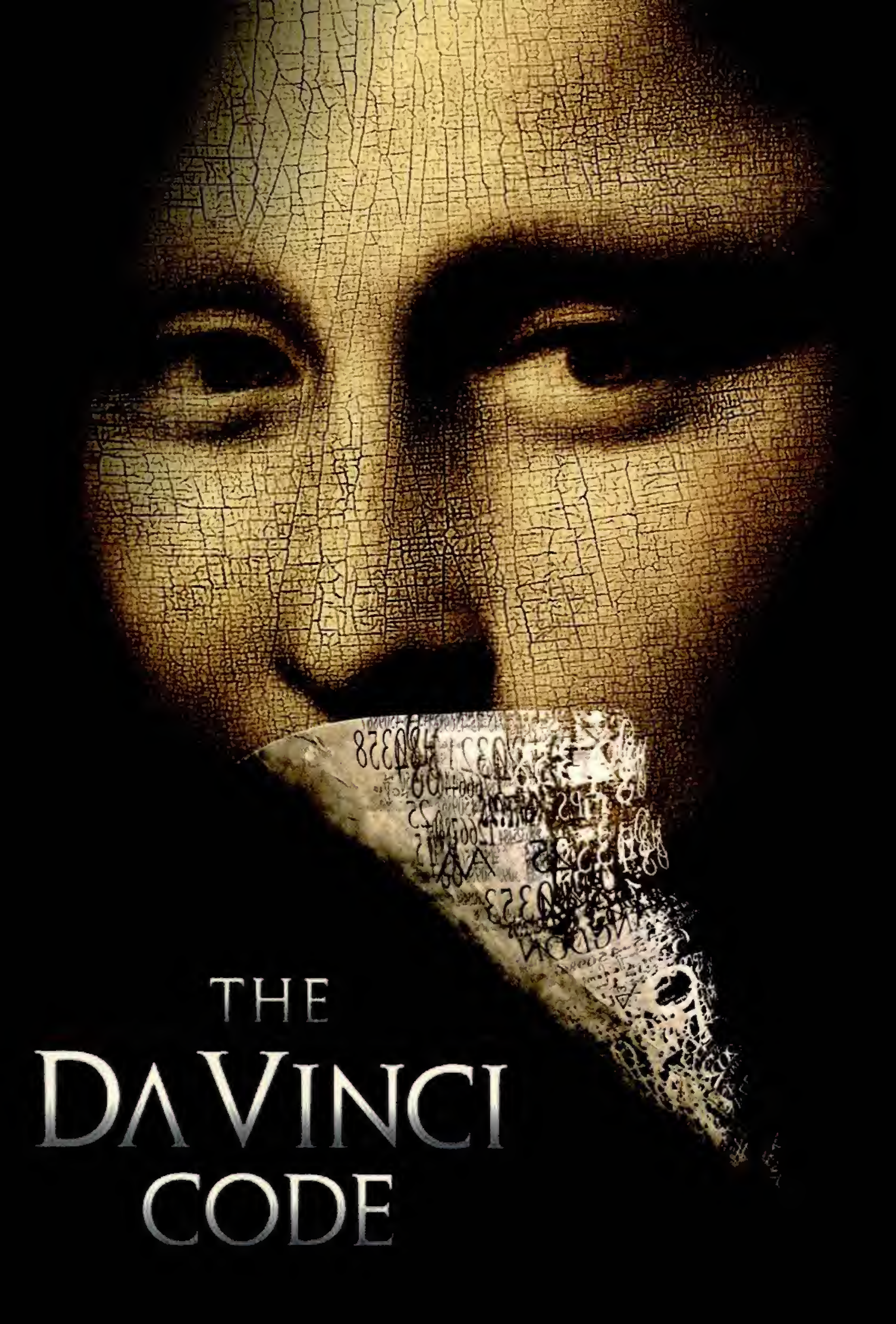
توفي الكاتب الروسي ألكسندر سولجنستين في ٣ شعبان الماضي (٤ أغسطس ٢٠٠٨م) بمنزله في موسكو عن عمر ناهز ٨٩ عاماً. وُلد ألكسندر في ١١ ديسمبر ١٩١٨م في القوقاز، واعتنق المُثُل الثورية، ودرس الرياضيات، وحارب ضد القوات الألمانية التي هاجمت روسيا في عام ١٩٤١م، وحُكم عليه في عام ١٩٤٥م بقضاء ثماني سنوات في معسكر اعتقال بعد انتقاده كفاءات ستالين الحربية في رسالة إلى أحد أصدقائه.

نال ألكسندر جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٧٠م، ورفض الذهاب إلى ستوكهولم لتسلّمها خوفًا من منعه من العودة الى الاتحاد السوفييتي في ظل حكم ليونيد بريجنيف. وأهم مؤلفاته: (أرخبيل الجولاج) الصادر في عام ١٩٧٣م، وهو عمل تاريخي أدبي حول معسكرات الاعتقال، ويصف فيه سنوات الرعب في عصر ستالين، وكان سبباً في إبعاده؛ ليعيش في ألمانيا وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية. ثم عاد إلى روسيا عام ١٩٩٤م بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، ووجّه انتقادات إلى الغرب وروسيا، ودعا إلى ضرورة العودة إلى القيم الأخلاقية التقليدية. وكان سولجنستين معنيّاً بالحياة السياسية؛ ففي عام ٢٠٠٦م اتهم حلف شمال الأطلسي بالسعي إلى فرض حصار كامل على روسيا وتجريدها من سيادتها، من خلال تعزيز آلته العسكرية في شرق أوربا.

وقد أصدرت روسيا في عام ٢٠٠٦م طبعة كاملة لأعماله، تضمنت عناوين مثل: (أرخبيل الجولاج)، و(يوم في حياة إيفان دينيسوفيتش)، و(جناح السرطان)، التي تصف جميعها الحياة داخل معسكرات الاعتقال أيام جوزيف ستالين. وقد قلّده الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين في عام ٢٠٠٧م جائزة الدولة الروسية الأرفع شأناً، وقال سولجنستين حينها: «في آخر أيامي، آمل أن تشكّل المادة التاريخية التي جمعتها جزءاً من وعي مواطنيّ وذاكرتهم».







كتاب

«أوبوس دي» العالم الغائب

تأليف: فيروتشو بينوتي

عرض: محمود الكيلاني

روما - إيطاليا

لم يسبق أن شهدت الساحتان الفكرية والروحية احتداماً في الجدل والسجال كالذي تعيشه في الوقت الراهن مع صدور الطبعة الرابعة لكتاب «أوبوس دي Opus Dei السرية»، للصحفي الوثائقي فيروتشو بينوتي، علماً أن الطبعة الأولى لم يمضِ عليها سوى ثلاثة أشهر فقط.

والإقبال الجماهيري المفاجئ من جانب القارئ الإيطالي لا يمكن إلا أن يثير مزيداً من الدهشة والذهول إذا ما علمنا أن الكتاب لم يحظَ بأي نوع من أنواع التغطية الإعلامية، على الرغم من صدوره عن دار نشر مرموقة (ريتسولي)، بل إنه تعرض لانتقادات لاذعة من جانب مفكرين مقربين من الأوساط الكنسية.

ويتفرد «أوبوس دي السرية» باقتحامه المباشر مع القارئ للعالم الغائب، أو المغيب للجماعة «أوبوس دي تعني باللاتينية عمل الله»، الأكثر غموضاً في الكنيسة الكاثوليكية، فيخصص فصوله الثمانية عشر لشهادات موثقة من أعضاء وصل بعضهم إلى مراتب متنفذة، ثم شقوا عصا الطاعة على «أوبوس دي» لأسباب متعددة، تراوح بين خيبة الأمل من الممارسة العقيدية داخل الجماعة، والإدراك (غالباً بعد فوات الأوان) لفداحة الإفلاس الروحي، والفراغ النفسي، الذي يخلفه الإيمان المطلق بمنطلقات الجماعة وطروحاتها، التي يمكن عدّها القاسم المشترك لأبطال الكتاب مع اختلاف مواطنهم وتربتهم الثقافية والاجتماعية.

انتهاء الحياة الشخصية

ويحملنا الصحفي فيروتشو بينوتي لكي نتأمل معه في اعترافات نتعرف من خلالها طبيعة الحياة اليومية للأعضاء في الجماعة - التي تأسست في عام ١٩٢٨م على يد الراهب الإسباني إسكريفا دي بالاغوير، ومنحها الفاتيكان صفة الحبرية الشخصية في ١٩ مارس/آذار عام ١٩٨٣م - الذين يلتزمون نذر أنفسهم لثالوث: الفقر، والبتولة، والطاعة، إذ يستيقظون عند السادسة صباحاً، ثم يغتسلون بالماء البارد، ليبدؤوا يومهم الذي يديره المسؤولون، فتنتفي الحياة الشخصية بكل معانيها، ومن ذلك حظر مشاهدة التلفاز، أو الذهاب إلى المسرح والسينما، ومنع ركوب وسائل النقل العامة، والتزام المشي مهما بعدت المسافات، فضلاً عن أن مطالعة الكتب تحتاج إلى إذن مسبق قبل



قراءتها، مع وجود لائحة طويلة بالعناوين المحظورة، إضافة إلى الرقابة الصارمة على البريد الشخصي، وإعاقة التواصل المباشر مع أفراد العائلة خارج نطاق الجماعة، وجعله مستحيلاً.

واستناداً إلى الشهادات الموثقة فإن «عمل الله»، انطلاقاً من كونها فرقة كاثوليكية متعصبة، تستند في أركانها إلى مبدأ «معاقبة النفس»، الذي يمارسه الأعضاء، حيث الجلد الذاتي كل سبت، وارتداء الحزام الحديدي ذي المسامير أعلى الرِّجل مدة ساعتين يومياً.

يقول أنتونيو كارلوس بروليتزي - العضو البرازيلي السابق: «أول مرة طبقت فيها واجب جلد نفسي فيما كنت أتلو الصلوات،

لكنني لم أستطع الاستمرار سوى بضع دقائق»، ويضيف: «مع كل محاولاتي لم أفلح في أن أوطن النفس على هذه التعليمات البربرية»، ثم يصف الحزام الحديدي بقوله: «كان هذا الحزام المكون من سلسلة من المسامير الحادة، التي تنفذ داخل جلد الفخذ برؤوسها المدببة، يخلف آلاماً يعجز اللسان عن وصف شدتها» (ص٣٤١).

ومن الواجبات الأخرى تلك المترتبة على المرأة، إذ تكره على النوم ليلاً فوق طاولة خشبية، فضلاً عن حظر القيلولة، بل والإكراه على تناول الأشربة والأطعمة التي تناقض الذوق الخاص، فمن يرغب في شرب القهوة بسكر فعليه أن يشربها مُرَّة، وهكذا.

ويستشف من روايات الأعضاء السابقين أن «عمل الله» تنفي عن أتباعها كل حق قانوني، أو مادي، وكل شكل من أشكال الضمان المالي، أو التقاعدي، إذ يجب عليهم أن يسلموا نهاية كل شهر رواتبهم إلى إدارة الجماعة، التي تعطيهم أقل مما يغطي نفقات الفرد العادي (في العالم الخارجي)، وهذا يجعلهم بحاجة مستمرة إلى المال. تقول إيمانويلا بروفيرا - العضوة السابقة: «كان كل ما نجنيه من مرتبات نودعه في خزينة الجماعة، ولا يحق للمرء أن يسحب من راتبه الشهري سوى مبلغ زهيد لا يتجاوز ما يعادل العشرة يوروهات (نحو خمسة عشر دولاراً)، ولهذا فلم نكن لنتمكن من الإنفاق كما يحلو لنا». وتضيف: «كانوا يقولون لنا دائماً: إننا فقراء، وكنا ملزمين بالتصريح عما نملكه في المحفظة» (ص٥٩). وتروي عن مرحلة ما بعد خروجها فتقول: «في عام ١٩٩٨م قمت بحسبة بسيطة للسنوات التي عملت فيها، إذ كنت أوفر شهرياً ما يعادل ألف يورو، وهذا يعني أن إجمالي الوفر الذي كان من المفترض أن يكون مودعاً باسمي يعادل نحو مائة وعشرين ألف يورو». وتستطرد: «أما الحقيقة المرة فكانت أنني خرجت من «أوبوس دي» صفر اليدين» (ص٧١).

تكره المرأة على النوم ليلاً فوق طاولة خشبية، فضلاً عن حظر القيلولة، بل والإكراه على تناول الأشربة والأطعمة التي تناقض الذوق الخاص

ولا تقتصر الالتزامات على الأعضاء فحسب، بل تمتد لتشمل «المؤيدين» للجماعة، خصوصاً حينما يتعلق الأمر بزوجين قطعا على نفسيهما العهد بـ «تأييد» «أوبوس دي»، كما في حالة آنا موراليس من ممفيس في تينيسي الأمريكية، التي كانت والدتها من «المؤيدين» للجماعة، التي تقول عن طفولتها: «إن «عمل الله» تتوقع من الزوجين أن يودعا كل شهر مبلغاً يعادل نفقات طفل واحد، فإذا كان لدى الأسرة ثمانية أطفال صارت «أوبوس دي» هي الطفل التاسع، وهذا التوجه القسري يجعل الطفل البيولوجي في حالة نفسية من الدونية المستمرة: لأن «أوبوس دي» تفرض على الأبوين التقتير في نفقاتهما العائلية: لمصلحة الجماعة». وتضيف: «كنت محرومة من كثير مما لدى أقراني، وأذكر أن والدتي رفضت شراء خاتم بقيمة ٧٥ دولاراً هدية لبلوغي المرحلة الثانوية، بينما كانت تنفق مئات الدولارات على دورات الجماعة ومؤتمراتها وندواتها» (ص٢٩٢ - ٢٩٣).

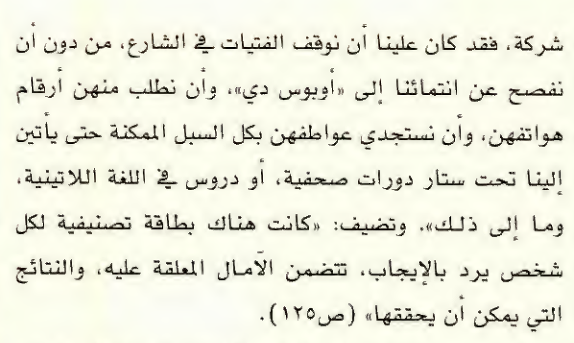
وتغرق «أوبوس دي» أعضاءها بأثقال الواجبات التي لا تنتهي، ولاسيما بذل كل جهد في سبيل اجتذاب المزيد من المريدين والأتباع واستقطابهم. وتبرز الشهادات مدى التناقض بين دعاية الجماعة، التي لا تكل عن الترويج لطابعها «العلماني»، والممارسة الفعلية داخل جدران معاهدها، ووراء أسوار مؤسساتها التربوية الخاصة، التي تتلقى في أغلب الحالات التمويل من جهات عامة.

استقطاب أقرب إلى الاستجداء

وفي شهادتها تقول إيمانويلا بروفيرا - العضوة السابقة: «إن الاستقطاب والتجنيد غالباً ما يتمان منذ نعومة الأظفار؛ أي: في سن اثني عشر عاماً، ووفقاً لمدى ثراء أولياء الأمور وقوة شوكتهم في المدارس التي تديرها الجماعة»، فقد تخصص لهذه المهمة «موازنة كبيرة، ويطلق على التبشير اسم راعوية الصداقة، التي تتخذ عدة سمات، من بينها السماحة الزائفة، وتصنع الابتسامات التي يتم التدرب عليها بشكل متواصل: لتتحول إلى قناع ميكانيكي غالباً ما يصدقه الآخرون، إضافة إلى تعمد إظهار الشعور بالسعادة الداخلية، بفضل تعاليم الجماعة».

تقول الإيطالية أمينا ماتزالي - العضوة السابقة -: «كانت عملية التجنيد والاستقطاب تتم بصورة ممنهجة وكأننا ضمن





شركة، فقد كان علينا أن نوقف الفتيات في الشارع، من دون أن نفصح عن انتمائنا إلى «أوبوس دي»، وأن نطلب منهن أرقام هواتفهن، وأن نستجدي عواطفهن بكل السبل الممكنة حتى يأتين إلينا تحت ستار دورات صحفية، أو دروس في اللغة اللاتينية، وما إلى ذلك». وتضيف: «كانت هناك بطاقة تصنيفية لكل شخص يرد بالإيجاب، تتضمن الآمال المعلقة عليه، والنتائج التي يمكن أن يحققها» (ص١٢٥).

وتصل ذروة عدم الانسجام والتناقض من خلال الواجب المفروض على كل عضو باختيار «مدير روحي» غير مرتبط بقيد الاعتراف الكنسي، وهذا ما يجعله في حل من التزام عدم البوح بالأسرار، التي يفضيها إليه المعترف. تتحدث إيمانويلا بروفيرا - العضوة السابقة - عن مرحلة انضمامها الأولى إلى «عمل الله» في سبتمبر/ أيلول عام ١٩٨٥م، التي شهدت بعد شهرين فقط «أول أزمة خلال عيد الميلاد، إذ بدأت أشعر بالهزال البدني، ونوبات من الألم المعدي الشديد، ثم خفقان متسارع في القلب، وشعور مزمن بالجوع، وإغماءات» (ص٣٧).

أمراض نفسية

وتبدو التبعات المترتبة على هذه الهيكلية الغريبة منطقية ومتوقعة، إذ يرتد العضو إلى مستوى ذهني طفولي، فيجبر على «كتابة رسائل افتراضية إلى يسوع الابن»، وعلى تكرار الإحساس العميق بذنوب لم ترتكب، مع ما يرافق ذلك من ذيوع الأمراض النفسية بكل أشكالها.



يقول الدكتور ألبرتو مونكادا - أحد أهم علماء الاجتماع الإسبان في «أوبوس دي» -: «لقد تبين وجود عدد متزايد من المصابين بآفات عقلية بين أعضاء «أوبوس دي»، فهم ينقلون إلى

الطابق الرابع من المستشفى الجامعي في مدينة بامبلونا المخصص لأعضاء الجماعة»، ويضيف: «لهذا فإن القائمين على «أوبوس دي» لا يسمحون بتاتاً لأي طبيب نفساني غير منتسب بالاطلاع على حالة المرضى النفسيين من الجماعة، إذ يشرف على هؤلاء حصراً أطباء أعضاء في أوبوس دي» (ص ١٦١).

ومما يضفي المزيد من الغموض على طبيعة تكوين «أوبوس دي» أن أحد أهم أركانها يتمثل في التزام الأعضاء السرية المطلقة، وعدم إفشاء ما يجري داخل أسوار معاهدها ومؤسساتها.

تقول ماريا غراتسيا تسيكينيللي - العضوة السابقة من فيرونا الإيطالية -: «لقد بلغ هاجس التشبث بالسرية درجة أنهم قالوا لي: ألاّ أتوسع في الحديث عمّا أقوم به، ولا عن



طبيعة الأجواء السائدة» ضمن الجماعة، وتضيف: «كانت تفاصيل حياة العضوات تعكس نشازاً غريباً، إذ كن يعدمن الحياة الخاصة، كما استنفد وجودهن تماماً من جانب الدور الملقى على عاتقهن داخل الجماعة، فكن يتعرضن للقمع بفعل سلسلة لا حصر لها من القواعد، بينما كن يظهرن أمام العالم الخارجي بالابتسامة ذاتها وبالقسمات نفسها» (ص٨٩).

حتى إذا نجح العضو في الانعتاق، فإنه يصبح نهباً لعزلة روحية ومادية يصعب الفكاك منها، بل تؤدي من آن إلى آخر إلى الانتحار، مثل فيلدمار بوهل - العضو الألماني السابق - الذي يروي هذه القصة: « في شتوتغارت تتلقى خطيبة أحد الأعضاء السابقين - الذي طلب منه التمسك بالبتولة مدى الحياة منذ أن كان في السادسة عشرة من عمره - مكالمة هاتفية من شخص يعرف عن نفسه بأنه عضو في «أوبوس دي»، فينذرها بأن من يدفع «خادماً لله» إلى هاوية الإثم فلن يناله نصيب من القداسة، وأن من الأفضل له الغرق في أعماق البحر»، ويضيف: «ما إن انتهت المكالمة حتى أقدمت الفتاة بالفعل على محاولة الانتحار» (ص١٥٥).

تنتفي الحياة الشخصية بكل معانيها، ومن ذلك حظر مشاهدة التلفاز، أو الذهاب إلى المسرح والسينما، ومنع ركوب وسائل النقل العامة، والتزام المشي مهما بعدت المسافات

وكذلك يروي جون روش - العضو البريطاني السابق -: «من خلال تجربتي الشخصية المباشرة أذكر حالة في كينيا، وأخرى في إيرلندا، كما أسرّ لي أحد الأعضاء البريطانيين السابقين عن عضوتين أقدمتا على محاولة الانتحار، فقد رمت إحداهن نفسها من الطابق الرابع في أحد مقار «أوبوس دي» في لندن» (ص٢٣٤).

أما أكثر الحالات قسوة فهي التي يرويها روش عن أول مدير لدار نيذرتال بلندن؛ أي: «الأب مايكل ريتشاردز الذي كان ينوي الانعتاق من «أوبوس دي»، لكن الجماعة رفضت طلبه بالتعويض، وهذا ما جعله يفقد الرغبة في الحياة، ويكف عن الأكل والشرب والنوم، إلى أن وجد بعد مدة قصيرة في الصيف جثة هامدة في غرفة أحد الفنادق» (ص٢٣٥).

وتتوالى الشهادات عن شعور الصدمة، الذي يعتري من يحزم أمره، ويقرر الانعتاق من «أوبوس دي»، من قبيل ما ترويه آنا إزانزا إيليو - العضو الإسبانية السابقة -: «الخروج من «عمل الله» ليس بالأمر السهل؛ فالقيادة تمارس ضغوطاً هائلة على كل

«عمل الله» تنفي عن أتباعها كل حق قانوني، أو مادي، وكل شكل من أشكال الضمان المالي، أو التقاعدي، إذ يجب عليهم أن يسلموا نهاية كل شهر رواتبهم إلى إدارة الجماعة

من تراوده نفسه بهذه الفكرة، لدرجة نعته بالمريض» (ص١٤٠).

سلطة ونفوذ

وغنيّ عن القول أن «أوبوس دي» تتمتع بسلطة مالية، ونفوذ اقتصادي على المستوى العالمي، لا ترقى إليه أية جماعة دينية أخرى. تقول إيمانويلا بروفيرا - العضوة السابقة - المنتمية إلى البرجوازية الرفيعة في ميلانو، حيث كان والدها يعمل مديراً تنفيذياً لواحد من أكبر التجمعات الصناعية في إيطاليا: «يعد موقع القرار الحساس الذي يحتله الأب الدافع الأول والأساسي لأي استقطاب تقوم به «أوبوس دي»، وهو أيضاً ما يفسر الثروة الهائلة التي تحتكم عليها وتموضعها داخل المؤسسات الاقتصادية والمالية العالمية على الرغم من دعوتها التي تتسم بالروحانية والتواضع» (ص٢٣).

ويكشف جون روش - العضو البريطاني السابق - الذي عمل خبيراً مالياً لدى عدة مؤسسات اقتصادية تابعة لـ «عمل الله» أن «أوبوس دي تسيطر على قدر واسع من الممتلكات ذات الطابع المتعدد الجنسيات، وكمّ هائلٍ من الشركات التجارية الربحية»، ويضيف: «لقد أصبحت الجماعة فاحشة الثراء عبر شركات مساعدة ومؤسسات اقتصادية تشرف عليها ويديرها أعضاء علمانيون». ويستشهد روش بالمادة التاسعة من دستور «أوبوس دي» الذي ينص على ما يأتي: «يتصرف أعضاء «أوبوس دي» فردياً، أو من خلال جمعيات يمكن أن تتخذ طابعاً ثقافياً أو فنياً أو مالياً، يطلق عليها اسم الشركات المساعدة التي تلتزم في نشاطها واجب الطاعة للسلطات التراتبية للتنظيم»؛ أي: «عمل الله» (ص٢٣٦).

يقول أنتونيو كارلوس بروليتزي - العضو البرازيلي السابق: «على الحكومات أن تعلن «أوبوس دي» بمنزلة الفرقة (Sect)، وأن تراقب مصادر تمويلها، وأن تجبر قياداتها على تحديد مقارها بشكل علني» (ص٣٦٢).

سيطرة إعلامية

ليس هذا فحسب، بل إن «أوبوس دي» تبرز هيمنتها من خلال وسائل الإعلام، فيقول روش: «تستثمر الجماعة جهداً ضخماً في نشر صورة خداعة لها في وسائل الإعلام، تحاول تقديم نفسها بشكل جذاب يسلب الألباب»، ويردف: «تستحوذ «أوبوس دي» على صحف، ودوريات، ودور نشر، وكليات صحافة، ووكالات أنباء، فضلاً عن اختراقها السينما والتلفزة، كما تملك أعضاء صحفيين يستغلون مواقعهم لنشر مقالات تروج للصورة الرسمية



للجماعة، وتقمع أي مقال مضاد، أو مضرّ لهيبة «عمل الله»، كما تشجع أشخاصاً من خارج الجماعة ظاهرياً لكي يخطوا رسائل تبدو عفوية مفعمة بالمدح والإشادة بأنشطتها» (ص ٢٣٧).

ويفرد مؤلف الكتاب الصحفي بينوتي فصلاً خاصاً لعرض جانب خفيّ من حياة مؤسس «أوبوس دي» خوسيه ماريا إسكريفا الذي يقول عنه أحد أهم مساعديه الأب التشيكي فلاديمير فيلتزمان: «أغفلت السير الشخصية التي تناولت إسكريفا بعد وفاته كل أبعاد الضعف والسلبية في شخصيته». ويضيف: «من ذلك، على سبيل المثال، أنه كان غالباً ما يفتح الباب بركلة من قدمه، وكلما رأى شيئاً في غير محله كان يستعر غضباً بشكل رهيب». ويردف: «كان إسكريفا مصاباً بالإحباط، خصوصاً خلال مرحلة المجمع الفاتيكاني الثاني، ولم يكن ينام الليل، بل خلال النهار». وفي مقطع آخر يقول فيلتزمان: «كان ينقصه الإخلاص بالدرجة التي لم يكن يقبل فيها نداء اللاوعي في أعماق نفسه». ويستطرد: «كان يعدم الصلة بالمشاعر وينكرها، فهو يعد العواطف والأحاسيس عدواً يفترض رصد حركته» (ص٢٥٥).

ويتناول فيلتزمان المساعد التشيكي لمؤسس «عمل الله» البعد التاريخي المتعلق بالمرحلة النازية الفاشية من شخصية إسكريفا فيقول: «كان يرى ألمانيا النازية وهتلر خلال الحرب العالمية الثانية كأنهما في حملة صليبية على الشيوعية». ليس هذا فحسب، بل إن كل عضو في «أوبوس دي» اختار إبان الحرب الأهلية الإسبانية الانخراط طواعية في «الكتيبة الزرقاء» (الميلشيا الطوعية التي قاتلت إلى جانب الجيش الألماني ضد الحلفاء)، وكان التحاقهم بها طوعي الصبغة تماماً» (ص٢٥٦).

ومهما اختلفت الآراء فإن قارئ كتاب «أوبوس دي السرية»، هو الذي سيستخلص العبر والنتائج من الشهادات والروايات المؤثرة، التي يعرضها الصحفي/ الباحث (بينوتي) بسلاسة وحيادية تثير في النفس مزيجاً من الفضول والترقب؛ لسبر أغوار كتاب بمثل هذه الدرجة العالية من الجرأة والجسارة، وذلك إذا ما أخذ في الحسبان التكوين الاجتماعي والثقافي للبوتقة الإيطالية، حيث يشكل الروم الكاثوليك (أي: الذين تعمدوا كنسياً) نسبة ٦٧, ٩٧٪ من السكان، وهو ما يفسر بقاء الكاثوليكية ركناً مركزياً في البنيان السياسي، حتى مع استحداث صفة العلمانية على الدولة منتصف السبعينيات من القرن الماضي.



كتاب إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين مع كلمة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني بن الحسين المعظم/ جمع وتحرير: غازي بن محمد بن طلال، تقديم: محمد سيد طنطاوي.- ط٣.- عمّان: غازي بن محمد بن طلال، ٢٠٠٦م، ٩١٤ص.

هذه هي الطبعة الثالثة المنقحة والمزيدة من هذا الكتاب، الذي سمي في الأصل بكتاب احترام المذاهب، وهو يهدف إلى توثيق جهود جلالة الملك عبدالله الثاني وتسجيلها وفهرستها في إصدار رسالة عمان.

يقول الملك عبدالله الثاني بن الحسين في مقدمة هذا الكتاب: «إن محتويات هذا الكتاب ليست مجموعة من الشعارات الفارغة، أو التصريحات السياسية الموجهة للجماهير العريضة، أو الغوغائية الدينية، ففيه لن يجد القارئ أي حقد أو تنافس ديني، أو أي مظاهر عداء، بل إن محتواه دعوة وحدة واحترام متبادل وأخوة، وهو بهذا يقدم إجابة نهائية قطعية حول الفئة والفرقة بين المسلمين، وتأطيراً واضحاً للإسلام الصحيح بجميع أشكاله».

كذلك وصف شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي هذا الكتاب بأنه «خير مرجع لكل من يريد أن يسير على الطريق المستقيم في قوله، وفعله، وسلوكه، ونهجه».

ويمثل الإجماع على هذه المحاور الثلاثة التي غدت تعرف الآن بـ «المحاور الثلاثة لرسالة عمان» اعترافاً فريداً، متبادلاً، وشاملاً، وتاريخياً، من المسلمين بعضهم ببعض بأخوتهم في الإسلام، بواسطة أصوات أبرز مراجع مسلمي العصر من كل المذاهب والاتجاهات. كما أنه يمثل إجماع الأمة على الشروط المسبقة، والمؤهلات، والمعايير التي تحدد من هو مؤهل ليتصدى للإفتاء. لذلك فإن هذا يمثل تحديداً قاطعاً للإسلام الحقيقي في كل مذاهبه، وتعريفاً وثيقاً. وبه يتجسد وعد توحيد أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ونشر الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية.



فراق قلبي

(حكاية الصلف والمداراة)

في أعقاب بيروت.. يوليو - أغسطس ٢٠٠٦م.

عادل مجذوب حسيب

الرياض - السعودية

في يوم المعركهْ

في بيروت الغاليهْ

كنا معاً، في الخوف والوجل

وكان قلبي يائساً

فأسرع من دقاته.. ورحل

وقبل أن يمضي الزمن

رأيته في الضاحيهْ

بين الركام والوحل

يرنو بعين وانيهْ

جاهداً، يعد دقاته الخابية..

هامساً: ويلك.. سيدي!

ما بالك لا زلت تمشي حافيا

وبيديك الأحذية الباليهْ..

تشمها وتلعق جلدها..

وتبكي أيامها الخاليهْ!

وما بالك، ما زلت

على السراب تتكئ

تلعن الدنيا..

والغزاة البرابرهْ..

وتشتكي المؤامرهْ!

وما بالك، لا زلت تستل سيفك

وقد علاه الصدأ

صارخاً: متى اللقا؟

أنا الشهيد! أنا الردى!..

سيان عندي أن أصرع أو أصرعا!

وأنت لا تدري، يا سيدي

من أجل ما.. ترتاد الوغى!

* * *

قلت: صه يا قلبي!

عد إلى صدري.. كما مضى

وأعطني يراعاً وقرطاساً

وهبني الحب والهوى..

ولهيباً في الأضلع..

لأكتب شعراً وجعجعهْ

وقصائداً معلقهْ

وحكمة للناس

عن يوم اللقا

* * *

جاش قلبي، وكفكف الأدمعا

وقال لي: أليس أنت، سيدي

الذي كل يوم أمشي معه،

رافع الرأس، إلى المقصلة؟

ألم تقل لي (في المدرسة):

ما نام جفن

وللظلم ركن في مضجعه؟

ما بالك، سيدي

يوم السماء صارت محرقهْ

وأمطرت جحفلاً وعدا

أغمدت سيفك وطأطأت وجهك

وسألتني، مستغرباً:

من ذا الذي علينا اعتدى؟

وأردفت، في لهفة متلجلجة:
هل هذه المواجهة؟
ورفعت يديك إلى السماء
وسألت الآلهة:
ماذا علينا أهل الرضا؟..
هل حق قراع العدا؟
هل تجوز المعركة؟
ولم تزدهم أسئلة؛ إجلالاً وتأدباً!
هلا سألتهم، سيدي:
هل رمي الشواظ على الصغار
وغارات الدمار والدماء المهرقة
وقتل الأبرياء والردى
تربص أم مسبّة أم اعتدا؟
وهل المقاومة.. مغامرة؟
أم سلاح أم فلاح؟
أم مغبة ومهلكة؟
اسألهم سيدي بذات اللغة
عسى أن تجد الأجوبة!

* * *

قلت: يا قلب
ألست قلبي الذي عشت معه؟
فهل يشجب القلب صاحبه؟
هل تذكر الماضي الذي مضى
في الظلام والهزائم والمهزلة؟
ألم تر، بعد كل معركة،
ادعاءً وإفكاً
ونصراً وعبوراً ومخاتلة؟
ألم تر خليفتنا المرتضى
بالنصر فينا قد قضى؟
وكل واحد منا
صفق وهللا
فنحن جند الخليفة
ونحن له كيفما ارتأى

* * *

فيا قلب
بعد الضجيج والجلجلة
لن يبقى لي ولكا
إلا الهزيم والصدى!
فدعك عني وعن كيف؟ أو لم؟
دار هذا أو ذاك الرحى؟
فنحن موتى قبل أن تحل المعركة!
وهيهات لي أو لك أن نستشهدا!
وكل واحد فينا، إذا الأمر انقضى،
تناسى أنه ميت أو نسي..
واستقبل الدنيا ومشى!!!
فيا قلب..
لن يبقى لنا بعد المعركة إلا الزفرة الحرّى
والحزن والأسى
ودقاتك الواجفة
فعُدْ إلى صدري
فأنا لا أرضى إلا الحب والوفا!

* * *

دق قلبي دقاته الخابية... وبكى!
وقال لي: لن نقوى، سيدي
على الجولة التالية
لك مني صلاتي والدعاء
وذكرى حبنا الغالية!
ومضى جالساً
ساهماً واجماً
بين الركام والوحل
على صخرة نابية



قيــــم المثقف العربي

محمد عبدالعليم صبح

الطائف - السعودية

قِيَمُ المثقف أيّ مثقف، وكذلك قيم الفرد العادي، هي قيم الهوية التي ينتمي إليها.

وقيم الهوية دائماً هي الآثار المنعكسة عن تفاعل الأبعاد الطبيعية لخصائص المكان مع محاولات الأفراد للتأقلم مع معطياته؛ بغية الاستقرار، والتوطن، وتكوين مجتمع.

ويتضمن الاستقرار عدداً من العمليات المتراكبة، بعضها يتمظهر في اتباع القواعد التي تفضي إلى الحفاظ على ذوات الأفراد كجماعة متجانسة، وبعضها الآخر يتجلى في محاولات هؤلاء الأفراد إيجاد المعنى لوجودهم من خلال طرح ما يفسر لهم حقيقة هذا الوجود: الكون، والإنسان، والحياة، أو اعتناقه. ومن ذلك تصبح لكل مجتمع خصوصيته، وتنشأ لديه الهوية التي تميزه.

ومن خلال إدراك الأفراد هذا الرابط بين القواعد التي تنظم وجودهم والتفسيرات التي توافقوا على الاقتناع بها لتفسير المسائل الكلية المتعلقة بحقائق الوجود يتمسكون بقيم محددة وخاصة، هي قيم الهوية.

الأثر الطبيعي لتأثير الهوية هو دمغ الأفراد المنتسبين إليها بطابعها المميز، لكن ذلك لا يجري وفق مستوى موحد، فالأفراد العاديون يكونون منمطين عادة من ناحية المفاهيم التي يتوارثونها، إضافة إلى افتقادهم القدرة على مراجعتها أو تطويرها.

أما المثقف فيختلف عن الشخص العادي بقدرته على الإدراك والتمييز، وليس مجرد التبني، وهو بقدرته تلك يستطيع أن يميز الجوهر الحيوي لهذه المفاهيم، ويقوم بإبرازه، وتطويره، ونشر الوعي الجدير به، وصيانته من الذوبان أو التواري. ومن خلال قيام المثقف بهذا الدور تتزايد أهميته بالنسبة إلى الهوية، مقارنةً بالفرد العادي، ففي الوقت الذي يُعد فيه المثقف واجهة دائمة أو صورة ناطقة بخصائص الهوية يُحسب الفرد العادي واحداً من صورها الصامتة.

والسلوك الطبيعي للمثقف - وهو السلوك المفترض أيضاً - أن تتشكل رؤاه دائماً وفق منظور هويته، وأن يصدر إبداعه متمثلاً القيم والتصورات الكامنة في أصول هويته، وهذه القيم، سواء أكانت جمالية تخص الإبداع أم فكرية ترتبط بطرائق التفكير أو معايير السلوك، يمكن أن تُطور وتنقح مما يشوبها من عوائق، لكنها لا تُلغى أو يستعاض عنها بالإحلال أو التبديل أبداً.

ولأن قيم الهوية بالنسبة إلى الفرد هي المانح الأساسي لصورة الذات الثقافية فهي تشكل دائماً الصورة الأولى للذات الاجتماعية، أو الصورة الأساسية؛ لذا تصبح دوماً بمنزلة المرآة التي تعكس

الحقائق المواجهة لها، إلا أنها لا تنعكس في أبعاد أخرى تعطيها حقيقة تخالف طبيعتها.

والفرد على رغم ذلك عرضة لأن تأخذه قيم هوية أخرى، وتحت تأثيرها قد ينبهر أو يتبنى، غير أنه يظل عاجزاً عن إزالة ظلال من الوحشة تحول بينه وبين الانسجام السلس، أو التوحد الكامل بجوهر هذه القيم المغايرة. هذه الظلال تتولد بفعل تأثير الصورة الأساسية أو الأولى للذات، التي تشعره دائماً بمواجهته حقيقة ما لا يتوحد معها. فالمواجهة أو المطالعة المستحثة أو المدركة لهذه الحقيقة تتم بناء على آلية الانعكاس أو فعله، وهذا يعني ثبات الصورة الأولى أساساً لتمييز الأبعاد المختلفة في الحقائق أو الصور الثقافية الأخرى.

إن كيانية المثقف وبُنى تشكيله تستمد دائماً من قيم هويته التي شب وترعرع في مجالها، فالهوية هي مصدر الكيانية الفكرية للمثقف، ومن الطبيعي أن يكون هناك تجاوب من قبله في الإقبال عليها والتزامها، مادام مهيأ في طبيعته للتعاطي مع ذلك.

الملاحظ على المثقف العربي في ضوء ما تقدم - والكلام ينطبق على بعض المثقفين دون بعضهم الآخر - أنه أدخل نفسه مجال التخلي عن قيمه الفكرية المستمدة من هويته، وفي مقابل ذلك تجده شديد الحرص على القيم الحياتية المجسدة في الجوانب البيولوجية لكيانه الإنساني. وهذا أمر أفرز ما يأتي:

أصبح المثقف العربي قاصراً عن بلوغ دوره الطبيعي في استنهاض النموذج الحضاري المعبر عن هويته وبعثه، الذي يكفل لها الاستمرارية والاستقلالية بين الثقافات.

النموذج الحضاري الماثل في مركز وجدان المثقف العربي يتوخى الصور المادية المحققة لأسلوب الحياة، ورفاهية العيش، وهو نموذج قائم على تعزيز الجوانب المادية في الكيان الإنساني، ويقوم كذلك على المحاكاة المتجمدة عند حدود الانبهار بالمظاهر المصاحبة للنماذج الثقافية للآخر، دون تفرس في الخلفيات الفكرية الباعثة لها.

تخلّي المثقف العربي عن قيمه الفكرية جعله عرضة للاستقطاب والتوظيف. وافتقاده القيم الفكرية كذلك نقل موضع ثباته الثقافي أو مرجعيته في التقويم والتقدير والتمييز إلى الخارج، حيث الآخر الذي يؤثر ويوجه وفقاً لمعاييره ورؤاه ومصالحه.

لا يقتصر ما يتمتع به المثقف العربي على مجرد امتلاكه القيم الفكرية، مثله في ذلك مثل نظرائه في الثقافات الأخرى، فميزته الأساسية التي يتميز بها من هؤلاء الآخرين تكمن في المنابع والخلفيات التي تصدر عنها قيمه فيما يخص المسائل الكلية، التي تستأثر بالاهتمام الإنساني على مر الحقب والعصور.

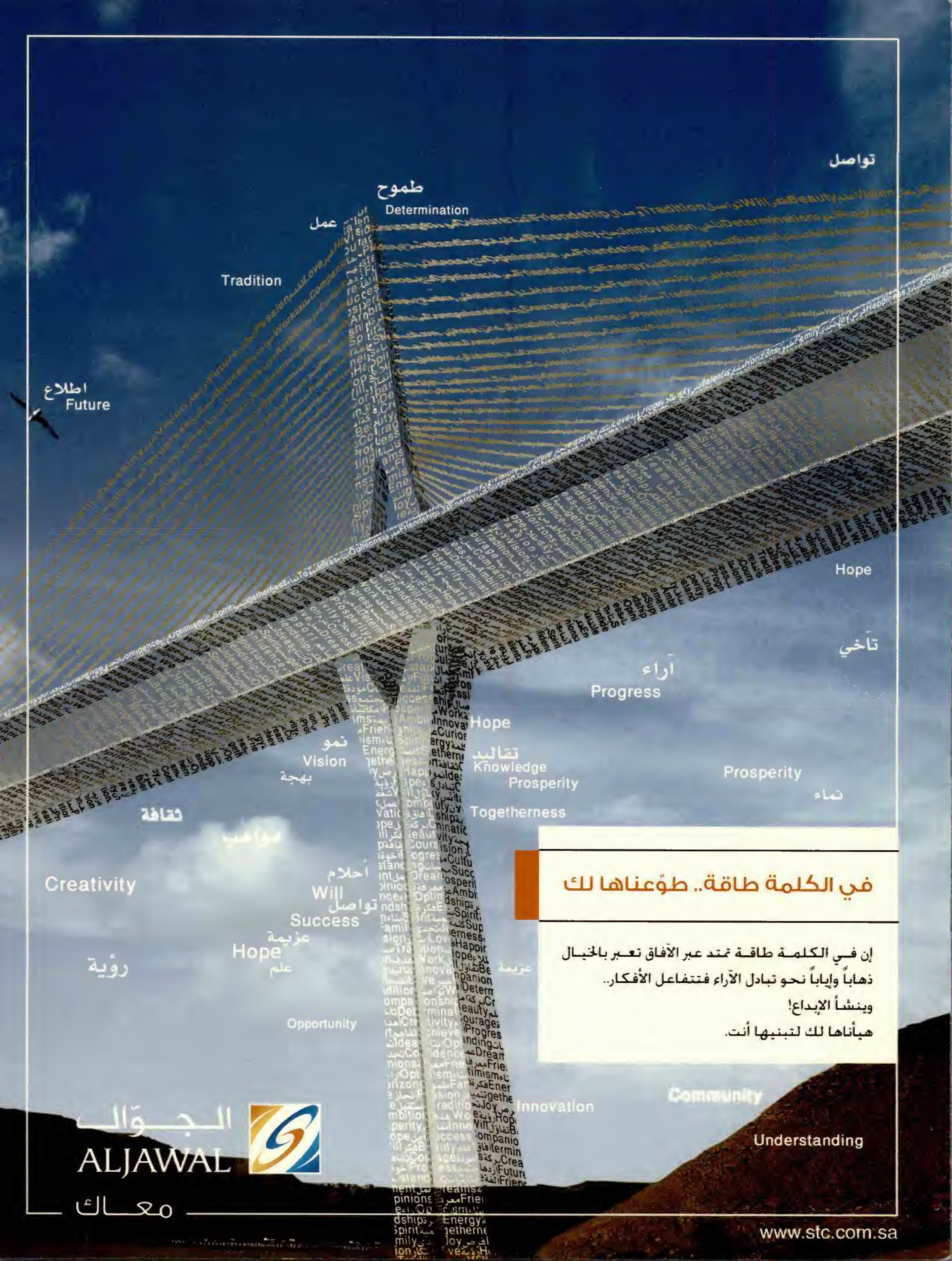
وجدوى هذه الخلفيات ونجاعتها تنبعان من غناها بالتصورات والمفاهيم الصحيحة عن حقيقة الوجود: الكون، والحياة، والإنسان؛ ذلك لأنها من جهة تصورات سماوية متوافقة تماماً مع الجوهر الماثل في هذه الحقائق، التي لا يدرك أبعاد كنهها سوى الله سبحانه وتعالى، ومتوافقة كذلك مع طاقة الإنسان في التلقي من جهة أخرى، وجميعها تصورات تُقيم التوازن في واقع الإنسان، وتؤهله للقيام بالمهمة التي كلفه الله إياها في إعمار الأرض والاستخلاف فيها.

أخفق المثقف العربي - ولا يزال يخفق - في إجراء التقدير الحقيقي لجدوى القيم الثقافية للآخر، ولم يتنبه لأن القيمة الحقيقية تكمن في تحقيق التوافق، فجدوى الأفكار وفوائدها تحسب دائماً على أساس ما تحققه للفرد من منافع تتوافق مع حقيقته الإنسانية.

فالتاريخ الإنساني للمجتمعات يحفل بعدد من التطبيقات المذهبية لكثير من الأفكار والفلسفات، إلا أنها لم تحقق ما ينشده الفرد من استقرار وطمأنينة وانسجام في الحياة؛ لذا كان مصيرها الفشل والفناء؛ لأنها لم تتوافق مع حقيقة الإنسان أو تتلاقى معه في توجهاته الفطرية بشكل كامل ومتوازن، بل تصادمت مع فطرته، فكان من الطبيعي أن ينبذها ويتجاوزها.

وتمثل قيم الهوية دائماً الجانب المعنوي في كيانية أي أمة أو قومية موحدة ثقافياً، وهذا الجانب المعنوي بمنزلة الروح العابرة إلى واقع الأمة من ماضيها التاريخي، ولا شك أنه يمنحها حضورها المميز متى شاءت، فالأجيال تتعاقب، ولا يكون من قاسم مشترك يجمعها سوى قيم الهوية التي يتناقلونها فيما بينهم.

ومن هنا، فالمحافظة على قيم الهوية هي في الوقت ذاته صيانة وإبقاء لشخصيتها وحضورها المعنوي كامة، والأمم تُغتال في حاضرها إذا ما فنيت قيمها، وتنهض إلى بعث جديد إذا ما استلهمتها في واقع جديد.



تواصل
طموح
Determination
عمل
Tradition
اطلاع
Future
Hope
تآخي
آراء
Progress
Hope
نمو
Vision
بهجة
تقاليد
Knowledge
Prosperity
Prosperity
نماء
Togetherness
ثقافة
في الكلمة طاقة.. طوّعناها لك
إن في الكلمة طاقة تمتد عبر الآفاق تعبر بالخيال ذهاباً وإياباً نحو تبادل الآراء فتتفاعل الأفكار..
وينشأ الإبداع!
هيأناها لك لتبنيها أنت.
Creativity
أحلام
Will
تواصل
Success
عزيمة
Hope
علم
رؤية
Opportunity
Innovation
Community
Understanding
الجوّال
ALJAWAL
معاك
www.stc.com.sa